

# الدلالات الدعوية فى الهجرة النبوية

إعداد

د/ محمد سيد أحمد سليم  
مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية  
فى كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية  
جامعة الأزهر بأسىوط



بسم الله الرحمن الرحيم

### ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على النبي الأمي الأمين. وعلى آله وصحبه أجمعين. ومن تبعهم بإحسان؟ إلى يوم الدين.  
وبعد.

فقد حفلت السيرة النبوية العطرة بحوادث جليلة. وأمور جليلة. كان من أهمها وأبقاها على مر الزمن حادث الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة. والذي ترتب عليه قيام الدولة الإسلامية. وتمكن المسلمون بعده من إقامة شعائرهم الدينية. وعبادة ربهم. ونشر رسالة التوحيد في كل أرجاء الدنيا. وقد حفلت الهجرة النبوية في طياتها بدلائل دعوية عدة. فكان هذا البحث بعنوان " الدلالات الدعوية في الهجرة النبوية".

وقد عرفت بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث. وتحدثت عن الدلالات الدعوية المتعلقة بالداعي من الثبات على المبدأ. وإتقان العمل. وحسن التوكل على الله ﷻ. ثم تحدثت عن الدلالات الدعوية المتعلقة بالمدعو من حسن الصحبة. والتضحية والفداء من جانب المهاجرين. والإيثار من جانب الأنصار. وغير ذلك.

ثم تحدثت عن الدلالات الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة كالصبر واليقين طريق النصر والتمكين. وأن الإسلام دين العمل والنشاط. ثم تكلمت عن الوفاء في الإسلام. ثم بينت الدلالات الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب الدعوية كضرورة التنوع والتجديد في العمل الدعوي. والإعداد الجيد في ميدان الدعوة. وضرورة الإفادة من الوسائل المتاحة. وأخيرًا سجلت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.  
والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

---

## Research Summary

**Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the faithful Prophet, his family and companions, and those who follow them with charity to the Day of Judgment**

**.After that**

**The Prophet's biography of the Prophet was celebrated with great events and great things. One of the most important and most important among them was the migration of the prophet from Makkah to Medina, which resulted in the establishment of the Islamic State. The Muslims were able to establish their religious rites, worship their Lord, Minimum. The Propagation of Prophetic Prophecy was accompanied by several prophetic narratives. This study was entitled "Prophetic Significance in Prophetic**

**."Migration**

**And I spoke about the semantics of the call concerning the call of good companionship, sacrifice and redemption on the part of immigrants, and altruism by the Ansar. And so on.**

**Then I spoke about the prophetic indications related to the subject of da'wa, such as patience and certainty, the path of victory and empowerment, that Islam is the religion of work and activity, and then I spoke about the fulfillment of Islam. Then I pointed out the prophetic indications related to the means and methods of Dawah, such as the necessity of diversification and innovation in advocacy work. Of the available means, and finally recorded the most important findings through research**

**.Only Allah leads to prosperity and guides to the straight path**

### مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين يثبت عزائم المؤمنين الصادقين، ويضل أعمال المخادعين المرأئين، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل ولايته لأهل الإيمان واليقين، وكتب اللعنة على أتباع الشيطان من الغاوين.

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله رائد المهاجرين الصابرين، وقائد الغر المحجلين في يوم الدين، فصلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... وبعد.

فقد قام رسول الله (ﷺ) بما كلفه الله (ﻋﻠﻴﻪ) به من إبلاغ الرسالة ونشر الدين، وتحمل في سبيل ذلك ما تنوء عن حملة الجبال الرواسي، فما لانت له قناة، ولا استبد به اليأس، مستجيباً لأمر ربه، متأسياً بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين - عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام -، ولقد حفلت سيرته العطرة بحوادث جليلة وأمور عظيمة، وكان من أهم تلك الأحداث وأبقاها على مر الزمن: حادث الهجرة النبوية وانتقاله (ﷺ) من مكة إلى المدينة، هذا الحدث الذي غير مجرى التاريخ، وترتب عليه قيام الدولة الإسلامية، وكان بداية عهد جديد تمكن فيه المسلمون من أداء شعائرهم، وعبادة ربهم، ونشر رسالة التوحيد في كل ربوع الدنيا، وقد حملت الهجرة النبوية في طياتها دلائل عديدة تمثلت في الداعي الأعظم (ﷺ) وظهرت آثارها في المدعوين، كما حفلت بالعديد من الدلائل في موضوع الدعوة ووسائل وأساليب الدعوة في تلك الحادثة الجليلة. لذا فقد أردت أن أسلط الضوء على بعض هذه الدلائل الدعوية فكان هذا البحث الذي جعلت عنوانه:

### " الدلائل الدعوية في الهجرة النبوية "

#### الدراسات السابقة:

هذا الموضوع المهم لا أدعي أنني أول من قام بالبحث فيه ولكن سبقني علماء أجلاء وباحثون عظماء. وأخوة أفاضل. بدراسات قيمة. وإن كانت لم تتناول موضوع الدلائل الدعوية في الهجرة النبوية بشكل مخصوص. ومن تلك الأبحاث:

١ - المرتكزات الدعوية في الهجرة النبوية. للباحث نوح عبد الرؤوف حامد التكيئة. والبحث يقع في ٢٨ صفحة منشور بمجلة المنبر السودانية للبحوث والمقالات الصادرة عن هيئة علماء السودان العدد ٢٤ مارس ٢٠١٧م. وقد تناول فيه الباحث أربع مرتكزات هي التضحية وإيذاء المشركين والصبر والمثابرة والثبات على الحق في المحن والشدائد.

٢ - الهجرة في ضوء الكتاب والسنة (دراسة دعوية) للباحث عبد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الشويمان. والبحث عبارة عن رسالة "تخصص" ماجستير في الدعوة والاحتساب قدمت إلى قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود بالسعودية. وقد تناول الباحث بالدراسة الدعوية الهجرة بمعناها العام ولم تقتصر على دراسة الهجرة النبوية.

#### منهجي في البحث:

اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الوصفي<sup>(١)</sup>. في وصف هجرة النبي (ﷺ) ثم اعتمدت بعد ذلك على المنهج التحليلي الاستنباطي<sup>(٢)</sup>. وذلك لاستنباط فقه الدعوة من خلال هجرة النبي (ﷺ) مما له ارتباط بموضوع البحث المتعلقة بالداعية أو المدعو أو موضوع الدعوة. ثم تحليل تلك الدلالات تحليلًا علميًا.

#### أسباب اختياري للموضوع:

وكان من أسباب اختياري لهذا الموضوع بعد توفيق الله (ﷻ) عدة أسباب من أهمها ما يلي:

(١) وهو المنهج الذي يسعى إلى وصف الظواهر أو الأحداث المعاصرة أو الراهنة. وتقدم بيانات عن خصائص معينة في الواقع. (مناهج البحث العلمي. سعيد التل وآخرون: ١/١٠٧. ط مؤسسة الوراق - عمان الأردن - ط: الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م).

(٢) وهو منهج يقوم على ثلاثة أسس: التفسير أولاً. ثم التحليل والنقد. ثم الاستنباط وهو ما يعبر عنه بالتركيب (انظر: أبجديات البحث العلمي في العلوم الشرعية. فريد الأنصاري ص ٧. ط دار الفرقان، الدار البيضاء بالمغرب. ط الأولى ١٩٩٧م).

- ١ - المعاشية لسيرة الرسول (ﷺ) والغوص في بحارها لالتقاط ما فيها من درر نفيسة تنفع صاحبها في كل زمان ومكان، وتصلح الأمة في كل عصر وأوان.
  - ٢ - أهمية الهجرة النبوية وما ترتب عليها من آثار بعيدة المدى.
  - ٣ - عدم العناية - فيما أعلم - بدراسة الدلالات الدعوية التي تضمنتها الهجرة النبوية فأحببت أن أعنتي بهذا الجانب، وأستفيد منه في مجال الدعوة إلى الله - تعالى -.
  - ٤ - الانتفاع بذكرات الماضي حتى نتقن العمل للحاضر.
- هذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة ثم ثبت بالمصادر والمراجع.
- أما المقدمة: فقد تضمنت بعد الحمد والثناء على الله (ﷻ) والصلاة والسلام على رسوله محمد (ﷺ) أهمية الموضوع والباعث على الكتابة فيه.
- وأما التمهيد: فيشتمل على التعريف بأبرز المصطلحات الواردة في عنوان البحث.
- وأما المبحث الأول فعنوانه: الدلالات الدعوية المتعلقة بالداعي.
- ويشتمل على ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: الثبات على المبدأ والتضحية من أجله في حياة الداعية.
- المطلب الثاني: إتقان التخطيط وحسن توظيف الطاقات في حياة الداعية.
- المطلب الثالث: التوكل على الله في حياة الداعية.
- وأما المبحث الثاني: فعنوانه: الدلالات الدعوية المتعلقة بالمدعو.
- ويتضمن أربعة مطالب:
- المطلب الأول: حسن الصحبة.
- المطلب الثاني: التضحية والفداء من جانب المهاجرين.
- المطلب الثالث: الإيثار من جانب الأنصار.
- المطلب الرابع: التضحية من جانب المرأة في سبيل الدعوة.
- وأما المبحث الثالث فعنوانه: الدلالات الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة.

---

ويشتمل على ثلاثة مطالب:  
المطلب الأول: الصبر واليقين طريق النصر والتمكين.  
المطلب الثاني: الإسلام دين العمل والنشاط.  
المطلب الثالث: الوفاء في الإسلام.  
وأما المبحث الرابع فعنوانه: الدلالات الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب الدعوية.

ويتضمن ثلاثة مطالب:  
المطلب الأول: ضرورة التنويع والتجديد في العمل الدعوي.  
المطلب الثاني: الإعداد الجيد في ميدان الدعوة.  
المطلب الثالث: ضرورة الإفادة من الوسائل المتاحة في ميدان الدعوة.  
وأما الخاتمة فسأذكر فيها أهم النتائج والتوصيات التي سأتوصل إليها من خلال البحث.

أسأل الله (ﷻ) أن يوفقنا لما فيه الخير والصواب، وأن يسدد القلم ويبارك في الجهد وأن يرزقني الإخلاص فيه، وأن يدخره إلى يوم لا ينفع مال ولا بنون إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

\*\*\*



### التمهيد

بادئ ذي بدء يجدر بنا أن نتعرف على المعنى المراد من بعض الكلمات التي وردت في عنوان البحث في اللغة والاصطلاح حتى يتبين المراد من عنوان البحث.  
أولاً: تعريف الدلالة لغة واصطلاحاً:

#### أ- تعريف الدلالة لغة:

ترجع الكلمة في أصلها إلى الفعل دلل وهي تعني: " أدل عليه وتدلل: انبسط والاسم الدالة والدالة ما تدل به على حميمك، ودل المرأة ودلالها: تدللها على زوجها، والدل قريب المعنى من الهدى، وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك، والدليل: ما يستدل به، والدليل: الدال، وقد دله على الطريق يدلّه دلالة ودلالة والفتح أعلى، والجمع: أدلة وأدلاء" (١).

وجاء في أساس البلاغة " دل ل دله على الطريق وهو دليل المفازة وهم أدلاؤها، وأدلت الطريق اهتديت إليه" (٢).

ومن معانيها الإرشاد تقول: دل عليه وإليه يدل دلالة أرشد، ويقال: دله على الطريق ونحوه سدده إليه أو أرشده إليه فهو دال، والدلالة والدلالة: الإرشاد، والجمع دلائل ودلالات، والدليل المرشد (٣).

فهي تعني في اللغة الإرشاد إلى الشيء والإبانة عنه والاهتداء إليه، وتجمع على أدلة وأدلاء ودلائل ودلالات.

#### ب- تعريف الدلالة اصطلاحاً:

لا يبعد تعريف الدلالة في الاصطلاح عن التعريف اللغوي، فقد جاء في تعريفها بأنها: " كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني

(١) لسان العرب لابن منظور: ٢٤٧/١١ - ٢٤٩ باختصار، الناشر: دار صادر - بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤ هـ.

(٢) أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق: أ/ محمود محمد شاكر: ١/ ٢٧٠، ط: مطبعة المدني ١٩٩١ م.

(٣) ينظر: المعجم الوسيط أ/ إبراهيم مصطفى أحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، وتحقيق

مجمع اللغة العربية ١/ ٢٩٤، ط: مكتبة الشروق الدولية، ط الرابعة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

هو المدلول "(١)".

كما عرفها صاحب المفردات: " ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد، كما يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي "(٢).  
كما عرفت الدلالة بأنها: " ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري، أو هو كل أمر صرح أن يتوصل بصحيح النظر فيه إلى علم شيء لم يعلم باضطرار "(٣).  
وبهذا نعلم أن المقصود منها أن يستدل من شيء على شيء آخر كان ذلك بقصد من الدال أو بغير قصد منه.

ثانيًا: تعريف الدعوة لغة واصطلاحًا:

أ- تعريف الدعوة لغة:

من معاني الدعوة في اللغة النداء والصيحة والاستدعاء، وهي اسم مصدر من دعا الرجل دعوا ودعاء: ناداه، ودعوت فلانًا صحت به واستدعيت، وقوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٤) معناه: داعيًا إلى توحيد الله وما يقرب منه، والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة واحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين أدخلت فيه الهاء للمبالغة، والنبى ﷺ داعي الله ﷻ (٥).

وقد تأتي بمعنى الإمالة فقد جاء في مقاييس اللغة: " الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك "(٦).

- (١) كتاب التعريفات للجرجاني تحقيق أ/ إبراهيم الإبياري ص ١٣٨ ط: دار الريان للتراث.
- (٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد خليل عيتاني ص ١٧٧، ط: دار المعرفة - بيروت - السادسة ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- (٣) ينظر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسول للإمام السيوطي، تحقيق: أد/ محمد إبراهيم عبادة، ص ٧٧، ط: مكتبة الآداب، ط: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- (٤) سورة: الأحزاب، الآية [ ٤٦ ].
- (٥) ينظر: لسان العرب لابن منظور ١/١٤، ٢٥٨، ٢٥٩، ط: الثالثة - دار صادر - بيروت ١٤١٤ هـ.
- (٦) مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: ٢/٢٢٨، ط: اتحاد الكتاب العرب، =

وتأتي الدعوة بمعنى الابتهاال إلى الله (ﷻ) بالسؤال والرغبة فيما عنده من خير تقول: " دعوت الله أدعوه دعاء ابتهلته إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيدا ناديته وطلبت إقباله، ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة فهو داعي الله، والجمع: دعاة وداعون" (١).

كما تأتي الدعوة بمعنى الحث على قصد الشيء وفعله، جاء في مفردات ألفاظ القرآن: " والدعاء إلى الشيء الحث على قصده قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السَّجُنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ (٢).

وعلى هذا فكلمة الدعوة من المفردات ذات المعاني المتعددة فهي تدل على النداء والصيحة والاستدعاء والإماله والابتهاال بالسؤال والحث على قصد الشيء.

#### ب- تعريف الدعوة اصطلاحاً:

كلمة الدعوة من الكلمات التي تطلق ويراد بها معنيان، فقد يراد بها الدين الإسلامي أو الرسالة الإسلامية، وقد يراد بها نشر الإسلام وتبليغه وبيانه للناس، وسياق إيرادها هو الذي يحدد المراد منها (٣).

لهذا سنورد بعض التعريفات لكل معنى من هذين المعنيين على حدة.

#### أولاً: تعريف الدعوة بمعنى الدين:

إن كلمة الدعوة إذا أطلقت ينصرف الذهن إلى أن المراد بها دين الإسلام، ومن هذه التعريفات تعريف الدعوة الإسلامية بأنها: " النظام العام والقانون الشامل لأموال الحياة

= ط ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(١) المصباح المنير للفيومي ص ٧٤، ط: المكتبة العلمية - بيروت.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي: ٣١٥/١، ط: دار القلم - دمشق - والدار الشامية - بيروت، ط: الرابعة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، كتاب الدال والآية من سورة يوسف: من الآية [٣٣].

(٣) ينظر: منهج الدعوة في القصة القرآنية لأبي عبادة محمد صالح البطايحة ص ٣٢، ط: دار الكتاب الثقافي الأردني.

ومناهج السلوك للإنسان التي جاء بها محمد (ﷺ) من ربه وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب في الآخرة" (١).

كما تعرف الدعوة الإسلامية بأنها: "دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعًا تجدد على يد محمد (ﷺ) خاتم النبيين كاملاً وافياً لصالح الدنيا والآخرة" (٢).

ومن التعريفات التي تدرج تحت هذا المعنى تعريف الشيخ محمد الغزالي للدعوة بأنها: "برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين" (٣).

وهذه التعريفات لا تعارض بينها فكلها يعرف الدعوة بأنها الدين الذي بعث الله (ﷺ) به الأنبياء وختمه بمحمد (ﷺ) والذي يضمن لمن عمل به الفوز في الدارين.

#### ثانيًا: تعريف الدعوة بمعنى البلاغ والنشر:

إن مفهوم الدعوة بمعنى البلاغ والنشر "أصبح علمًا مستقلًا له موضوعه وخصائصه وأهدافه، وهو بذلك يواكب سائر العلوم الإسلامية يفيدها ويستفيد منها، ويشاركها في إفادة الإسلام برسم طريق منهجي يكفل له الانتشار والذيع" (٤).

وهناك الكثير من التعريفات التي يمكن إدراجها تحت هذا المعنى منها تعريف صاحب كتاب المدخل إلى علم الدعوة القائل: "يمكننا تعريف علم الدعوة بعد أن أصبح علمًا على علم معين بأنه: مجموعة القواعد والأصول التي يتوصل بها إلى تبليغ

(١) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها أستاذنا الدكتور/ أحمد أحمد غلوش ص ١٣، ط: دار الكتب الإسلامية ودار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني - بيروت.

(٢) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية للشيخ محمد الراوي ص ٣٩، ط: مكتبة العبيكان - الرياض، ط الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٣) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة للشيخ/ محمد الغزالي ص ١٢، ط: دار التوفيق النموذجية، ط السادسة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٤) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها أد/ أحمد أحمد غلوش ص ١٠.

الإسلام للناس وتعليمه وتطبيقه" (١).

ومنها تعريف الشيخ علي محفوظ للدعوة بأنها: "حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل" (٢).

ومنها - أيضًا - تعريف الدعوة بأنها: "العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق" (٣).

وأرى أنه لا تعارض بين تعريف الدعوة بالمعنيين - الإسلام وتبليغه ونشره - للارتباط الوثيق بينهما، فدين الله (ﷺ) الذي أنزله على الأنبياء وختمه بمحمد (ﷺ) لا بد لمن يبلغه للناس وينشره أن يتعرف على القواعد والأصول التي يمكن من خلالها أن يعرضه على الناس ليتعرفوا عليه ويطبقوه في حياتهم ليفوزوا بالسعادة في الدنيا والآخرة. ومن هنا يمكن تعريف الدلالات الدعوية بأنها المحتوى الدعوي المستنبط من هجرة النبي (ﷺ) وما يشتمل عليه مما يتعلق بالداعي أو المدعو أو موضوع الدعوة.

ثالثًا: تعريف الهجرة لغة واصطلاحًا.

أ- تعريف الهجرة لغة:

الهجرة يرجع أصلها اللغوي إلى الهجر و "الهجر ضد الوصل، والهجرة والمهاجرة من أرض إلى أرض ترك الأولى للثانية" (٤).

وجاء في المفردات في غريب القرآن "الهجر والهجران مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب.. والمهاجرة في الأصل مصارمة الغير ومشاركته" (٥).

- (١) المدخل إلى علم الدعوة د/ محمد أبو الفتح البيانوني ص١٩، ط: مؤسسة الرسالة.
- (٢) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة للشيخ/ علي محفوظ، تحقيق: أ/ مجدي فتحي السيد ص١٦، ط: المكتبة التوفيقية.
- (٣) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها د/ أحمد غلوش ص١٠.
- (٤) مختار الصحاح للرازي ص٣٢٤. ط المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا. ط الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م. تحقيق: يوسف الشيخ محمد.
- (٥) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٥١.

---

وهي بهذا تعني الترك والمفارقة وقد تكون حسية وقد تكون معنوية.

ب- تعريف الهجرة اصطلاحًا:

الهجرة في الأصل تعني: " هجر الوطن. وأكثر ما يطلق على من رحل من البادية إلى القرية " (١).

وتعرف الهجرة بأنها: " ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال إلى دار الإسلام " (٢).  
وبهذا يتبين أن الهجرة في معناها الاصطلاحي لا تختلف كثيرًا عن معناها اللغوي.  
وعلى هذا فالمقصود من عنوان البحث: ما تدل عليه الأفعال التي حدثت خلال هجرة النبي (ﷺ) من مكة إلى المدينة فيما يخص الدعوة الإسلامية من جميع جوانبها، ومحاولة الإحاطة بكل ماله صلة بالداعية الأعظم (ﷺ)، وفيما يخص المدعوين، وماله صلة بموضوع الدعوة، والوسائل والأساليب الدعوية في هذا الحادث.

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني ٧/٢٢٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. ط دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٢) كتاب التعريفات للجرجاني ص ٣١٩.

## المبحث الأول

### الدلالات الدعوية المتعلقة بالداعي

أشارت أحداث الهجرة النبوية إلى عدة دلالات توفرت في الداعي الأعظم (ﷺ) وهو يعد لهذا الأمر الجليل. وأثناء قيامه به كان لها الأثر البالغ في نجاح تلك المهمة وإتمامها على الوجه الأكمل. وقد أفردت لكل دلالة مطلب من المطالب ومن ثم فقد جاء هذا المبحث في عدة مطالب كالتالي:

المطلب الأول: ثبات الداعية على المبدأ والتضحية في سبيله.

المطلب الثاني: إتقان التخطيط وحسن توظيف الطاقات في حياة الداعية.

المطلب الثالث: التوكل على الله في حياة الداعية.

### المطلب الأول

ثبات الداعية على المبدأ والتضحية في سبيله

إن الدعوة إلى الله (ﷻ) لا تؤتي ثمارها. ولا تستطيع أن تغرس جذورها في قلوب المدعويين إلا إذا كان الداعية ثابتاً على ما ينادي به لا يفرط فيه. ولا يتنازل عنه مهما كانت المغريات. ومهما كانت التضحيات. وهذا ما نتعلمه من سيرة خير البرية (ﷺ) وخاصة أنه علمنا إياه في هجرته.

معنى الثبات على المبدأ:

ومعنى الثبات على المبدأ الذي يضحى الداعية من أجله " الاستقامة على الهدى. وإلجام النفس وقسرها على سلوك طريق الحق والخير. وعدم الالتفات إلى صوارف الهوى والشيطان. ونوازع النفس والطغيان. مع سرعة الأوبة والتوبة حال ملابسة الإثم أو الركون إلى الدنيا" (١)

الثبات على المبدأ في هجرة النبي (ﷺ):

لقد كان رسول الله (ﷺ) خير قدوة وأفضل أسوة، وإن دعوته في مكة قبل الهجرة

(١) الثبات. د. محمد موسى الشريف ص ١٢. ط دار الأندلس. القاهرة. ط الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

لدليل شامخ على الثبات. وعلامة مميزة على التضحية من أجل الدعوة. فقد مكث " بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو قومه لما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة فلم يأنس منهم خيراً، بل لم يلق منهم إلا كل نكران وجحود، وكل تكذيب ورفض، وكل عذاب وهوان، بيد أنه (ﷺ) لم تفت عزيمته، أو يفت ذلك في عضده، فلم يستسلم لليأس قط ويؤثر الراحة والسلامة، بل لم يزد إعراضهم إلا ثباتاً على الحق، وتعذيبهم إلا قوة إيمان، ورفضهم إلا تمسكاً بمبادئه وحرصاً عليها، وكانت سياسة الصمود والمقاومة هما كل ما تذرعه به (ﷺ) وأصحابه (رضي الله عنهم) في مواجهة الباطل وأهله" (١).

ومع ذلك فل ييأس النبي ﷺ وإنما استخدم كل وسيلة في هداية قومه، وسلك معهم " كل مسلك في تبليغهم رسالة ربه، واستمالتهم إلى قبول ما جاءهم به من الهدى والخير، ومشى إليهم في كل طريق يرجو فيه أن يستجيبوا لدعوته ويؤمنوا بربهم إلهًا واحدًا، ولم يترك شريفًا في قومه إلا اتصل به ودعاه إلى الله وطلب منه نصره، وكان يأتي المحافل في المواسم والأسواق يعرض نفسه على القبائل والبيوتات ليؤوه وينصروه، فما كان يجد منهم إلا أقبح الرد وأسوأه قولاً وفعلاً" (٢).

لقد كان النبي ﷺ صاحب عزيمة كبيرة. اختاره الله على عينه لتبليغ الرسالة فلم يكن يفت في عضضه سخرية الساخرين من قومه. ولا استهزاء المستهزئين. ولم يكن النبي (ﷺ) يعرف اليأس والقنوط قط بل كان قلبه مفعماً بالرجاء والأمل.

وظل النبي (ﷺ) ثابتاً على مضمون الدعوة رافضاً أن يفرط فيه، أو يتنازل عن جزء منه، مع ما تعرض له من " مساومات على هذا المضمون من أهل الشرك والكفر أعداء الدعوة، لقد أرادوا أن يميعوا الحق فلم يقبل النبي (ﷺ).. يقول الله - تعالى - ﴿ وَذُوالُ

(١) في أنوار الهجرة وسيرتها العطرة أد/ محمد فتحي فرج، مقال ضمن مجلة الأزهر ص ١١٠، الجزء ١١ لسنة ٩١ عدد المحرم ١٤٢٩هـ - أكتوبر ٢٠١٧م.

(٢) محمد رسول الله د/ محمد الصادق عرجون ٢/ ٥٥٤. ط دار القلم. دمشق سوريا ١٤١٥هـ.



تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿١﴾.

لقد أرادوا أن يضيعوا المضمون فعرضوا على النبي (ﷺ) الالتقاء في منتصف الطريق فقالوا له: نعبد إلهك يوماً وتعبد آلهتنا يوماً فجاء الحسم من الله - تعالى - في عدم المساومة على الحق، وأنزل الله - تعالى - قوله: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ \* لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (٢).

وغير ذلك كثير من المحاولات الرخيصة التي أقدم عليها الكافرون حتى يميعوا الحق ويضيعوه " (٣).

وأراد المشركون بعد ذلك مساومة النبي (ﷺ) عله يترك ما يدعو إليه من وحدانية الله. ولكنه كان كالطود الشامخ أم مغرياتهم التي عرضوها عليه من الملك والثراء والزعامة. ولكن النبي (ﷺ) رفض ذلك كله وألقاه في وجوههم بعزة وإباء وشموخ. وقال قوله التي تدل على ثباته ورباطة جأشه وقوة إيمانه برسالته: " والله لو ضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه " (٤). فلما لم تفلح تلك المحاولات في ثنيه (ﷺ) عن عزمه، ورده عن نشر رسالته وتبليغ أمر الله (ﷻ) أجمع كفار قريش أمرهم على قتل رسول الله (ﷺ) وكلموا في ذلك بني هاشم وبني المطلب، ولكنهم أبوا تسليمه (ﷺ) إليهم.

فلما عجزت قريش عن قتله (ﷺ) أجمعوا على منابذته ومنابذة من معه من المسلمين ومن يحميه من بني هاشم وبني المطلب، فكتبوا بذلك كتاباً تعاقداً فيه على ألا يناكحهم، ولا يبايعوهم، ولا يدعوا سبباً من أسباب الرزق يصل إليهم، ولا يقبلوا

(١) سورة: القلم، آية [ ٩ ].

(٢) سورة الكافرون.

(٣) من أدب الدعوة للشيخ محمد داود ص ٣٤، ٣٥.

(٤) السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٤٧٤، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.

منهم صلحًا، ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلم بنو المطلب رسول الله (ﷺ) للقتل، وعلقوا الكتاب في جوف الكعبة.

وتم لقريش ما أرادت من فرض الحصار على النبي (ﷺ) وأصحابه فقد حوصر بنو هاشم وبنو المطلب ومن معهم من المسلمين ومعهم رسول الله (ﷺ) في شعب بني المطلب، وإنما مكة شعاب متفرقة، واجتمع فيه من بني هاشم وبنو المطلب المسلمون والكافرون، أما المسلمون فتدينا، وأما الكافرون فحمية إلا ما كان من أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب فإنه خرج إلى قريش فظاهر النبي (ﷺ) وأصحابه " والتزم كفار قريش بهذا الكتاب ثلاث سنوات بدءًا من المحرم سنة سبع من البعثة النبوية إلى السنة العاشرة منها، وفيها جهد النبي (ﷺ) ومن معه جهدًا شديدًا واشتد عليهم البلاء حتى تم نقض الصحيفة.

وبعد أن نفذت من يد رسول الله (ﷺ) وأصحابه الأسباب المادية الأراضية، وتعلقت قلوبهم بالأسباب الروحية السماوية أذن الله (ﻋﻠﻴﻚ) لحبيبه بالهجرة النبوية ليملاً نور الإسلام أرجاء المعمورة وقلوب البشرية<sup>(١)</sup>.

ولم تكن الهجرة من مكة إلى المدينة في ذلك الوقت كما يقول الدكتور / أحمد الشرباصي: " سفرًا قاصدًا ولا رحلة هنيئة بل كانت في الظروف التي تمت فيها عملاً محفوفًا بالمخاطر والأهوال، وحسبنا إدراكًا لهذا أن محمداً لو وقع في أيدي الطغاة من المشركين يومذاك لكان مصيره الهلاك بلا ريب، فقد صمموا على قتله من قبل: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

.. نعم خرج محمد من وطنه وسكنه وداره وقراره مهاجرًا إلى دار جديدة فأية قوة دعت ذلك المهاجر الكريم إلى أن يركب متن الصحراء، وأن يتعرض لحرها وسمومها

(١) انظر: فقه السيرة. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٨٦ / ٨٨. ط دار الفكر. بيروت. ودار الفكر المعاصر. دمشق. ط العاشرة ١٤١١هـ ١٩٩١م. (بتصرف).

(٢) سورة: الأنفال، من الآية [٣٠].

وأهوالها وأخطارها، وهو في فقر من ماله، وقلة من رجاله، وضعف من عدته، وكبر من سنه فقد تجاوز الخمسين بسنوات؟.. وما الذي حمله على ذلك وقد كان في استطاعته أن يفوز لو أراد بالعيش الهنيء، والمقام الطيب، والنعيم الواسع في داره، فقد عرضوا عليه ذلك، وعرضوا عليه المال والجمال والرياسة والجاه في سبيل شيء واحد هو أن يترك هذه الدعوة التي يدعو بها، أو يترك سب آلهتهم وتسفيه أحلامهم، أو يقابلهم في منتصف الطريق فيحترم دينهم ويحترمون له دينه، ولكنه أبى واستعصم لأنه يدعو إلى الحق الخالص" (١).

وهذا هو الواجب على كل إنسان يدعو إلى مبدأ قويم وهدف نبيل، عليه أن يظل ثابتاً على مبدئه، مستهيناً بما يلاقه في سبيل ذلك من أذى أو توضيحات فلا يحدد عنه " بل يجاهد من أجله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وهو يستهين بالشدائد والمصاعب تعترض طريقه عن يمين وشمال، ولكنه في الوقت نفسه لا يصبر على الذل يناله، ولا يرضى بالهوان يلحق دعوته، فإذا أحس بشيء من ذلك نأى بدعوته عن مواطن إذلالها، واغترب بها ليحفظ كرامتها ويصون حياتها، ولو أدى ذلك إلى ترك البلد والوطن والأهل والسكن" (٢).

ومما سبق يتبين أن رسول الله (ﷺ) قد ضرب المثل الأعلى لكل داع إلى الله في شخصه الكريم (ﷺ)، وأن طريق الدعوة إلى الله مليئة بالعقبات محفوفة بالمكاره، ملبدة بكثير من الشبهات والشهوات، وأنه لا يكمل السير فيها ضعيف، ولا من هو عن هدفه كفيف، بل تحتاج إلى جندي قوى بصير، يجعل الصبر زاده، وإن قل معه النصر، ويجاهد في سبيل هدفه، ويضحى لأجله بنفسه وماله ووطنه، فالمرتجى جنة عرضها السماوات والأرض، وهي السلعة الغالية التي تحتاج إلى ثمن غالٍ، وهذا الثمن هو السير في طريق خير البشرية (ﷺ) والتأسي به في جميع أقواله وأفعاله.

(١) الموسوعة الشرباصية في الخطب المنبرية د/ أحمد الشرباصي: ٢٠٢/٤.

(٢) الموسوعة الشرباصية في الخطب المنبرية ١٩٢/٤.

## المطلب الثاني

### إتقان التخطيط وحسن توظيف الطاقات في حياة الداعية

إن التخطيط والإعداد المسبق لأي أمر في غاية الأهمية لنجاحه، فأمر لا يخطط له تكون عاقبته في غالب أمره الفشل الذريع. ومن ثم كان التخطيط وحسن توظيف الطاقات من أنصع الدلالات في هجرة النبي (ﷺ).

#### معنى التخطيط:

والمقصود بالتخطيط "وضع خطة احتمالات المستقبل، وتحقيق الأهداف المنشودة" (١).

وللتخطيط أهمية كبرى في الإسلام. فكل عمل لا بد له من تخطيط مسبق. كي يحدد المسلم هدفه في حياته وأخراه. وهذا ما يأمر به الدين الإسلامي أتباعه، ففكرة الدين " في جوهرها قائمة على أساس التخطيط للمستقبل، ففيه يأخذ المرء المتدين من يومه لغده، وبعبارة أخرى من حياته لموته، ومن دنياه لآخرته، ولا بد له من أن يخطط حياته، ويضع لنفسه منهاجاً يوصله إلى الغاية وهي رضوان الله ومثوبته" (٢).

وإن التخطيط للأمر يعتبر منهجاً قرآنياً أصيلاً فقد الله (ﷻ): ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُوهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ (٣).

#### التخطيط في الهجرة:

ومن يطالع سيرة المصطفى (ﷺ) يجد أن التخطيط بارز في سيرته. ومحاولة استشراف العواقب ودرء الأخطار عن الدعوة يحتل مكاناً كبيراً في تخطيطه. وهذا ما تعلمناه منه ﷺ في هجرته.

(١) التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته د/ عبد رب النبي علي أبو السعود، تقديم د/ محمد الأحمدى أبو

النور ص ١٥٨، ط: دار التوفيق النموذجية، ط: الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

(٢) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٣) سورة الأنفال الآية رقم [٦٠].

ولقد برز من خلال الهجرة النبوية المباركة أنها لم تقع جزأً، ولم تتم بدون تخطيط مسبق كان غاية في الإتقان والإحكام بجانب ما أحاط به من سرية تامة، ومن بين الدلائل على هذا التخطيط:

أولاً: اختياره (ﷺ) بتوفيق من الله (ﷻ) المدينة بالذات لتكون دار الهجرة، وكان ذلك لعدة أسباب:

١: بيئة المدينة "بيئة زراعية، والبيئة الزراعية يغلب على أهلها التفكير في ملكوت السموات والأرض، والتدبر لقدرة الله على الإبداع والخلق؛ لأنهم يرون أمامهم الأرض الهامدة الخالية يوضع فيها البذر ويسقى بالماء فإذا قدرة الله العلي الكبير تحيل هذا البذر شجراً وثمرًا... فأهل المدينة إذن كانوا أكثر استعداداً لتقبل دعوة الله الخالق من أهل مكة ذات البيئة التجارية التي يغلب عليها الانصراف إلى الكسب والربح وكنز المال".

٢: واختار كذلك الرسول (ﷺ) المدينة دار هجرة؛ لأن الجو فيها كان قد تهيأ لاستقبال الدعوة الفاتحة بالهدى والنور، فإن بيعتي العقبة قد أوجدت للإسلام في المدينة ركنًا، وللرسول (ﷺ) أتباعًا، وللمسلمين أنصارًا، وتردد في بيوت الأنصار صوت القرآن وكلمة الإيمان، فإذا هاجر إليهم رسول الله (ﷺ) وجد لديهم المعاونة والنصرة.

٣: ولا يغيب عن أذهاننا في هذا المقام كذلك أن أحوال الرسول من بني النجار كانوا في المدينة، فإذا هاجر إليها لم تكن هجرته غريبة ولا عجيبة؛ فإن التواصل بين الأرحام، والتعاطف بين الأقارب مما لا تستنكره الإنسانية العاقلة الفاضلة في أي عصر من العصور، وعلى فرض أن هؤلاء الأقارب لن يكونوا بأجمعهم من أهل الدعوة الجديدة فإنهم لن يجحدوا حق القرابة والرحم في حسن الاستقبال على الأقل".

٤: كما أن المدينة تتميز بموقع جغرافي يؤهلها لأن تكون دارًا للهجرة النبوية فهي "تتوسط الطريق بين مكة والشام، ولأهل مكة ارتباط وثيق بالشام فإليها رحلتهم كل عام، وفيها تدور تجارتهم ونشاطهم الاقتصادي يصدرون إليها ويستوردون منها، وهؤلاء هم الذين آذوا رسول الله والذين معه، وعذبوهم واضطهدوهم، وأكلوا حقوقهم،

وأخرجوهم من ديارهم، فالمدينة إذن موقع استراتيجي مهم جداً يستطيع المسلمون فيه أن يقطعوا الطريق على المشركين، ويهددوهم في رحلاتهم وتجاراتهم ما داموا طغاة متجبرين، والبادئ أظلم" (١).

لذلك اختار رسول الله (ﷺ) المدينة لتكون داراً للهجرة، وأذن لسائر المسلمين بالقدوم إليها، فقد أصبحت دار أمن وأمان لهم. واستبقى معه علياً (عليه السلام) ليرد الأمانات إلى أصحابها. وكذلك أبا بكر (رضي الله عنه) ليكون رفيقه في رحلة الهجرة.

وكان أبو بكر (رضي الله عنه) استأذن النبي (ﷺ) في الهجرة فقال له النبي (ﷺ): "لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً" فطمع أبو بكر (رضي الله عنه) أن يكون رسول الله (ﷺ) إنما يعني نفسه حين قال له ذلك فاشترى راحلتين واحتبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك (٢).

ثانياً: تأخر النبي (ﷺ) في الهجرة: فلقد توافد المسلمون قبل النبي (ﷺ) للمدينة أما هو فقد بقي آخرهم. وهكذا تتأخر القيادة الحكيمة "حتى تطمئن إلى سلامة الأفراد وجميعهم، فكلهم مهم وله مكانته من نفس القيادة، وإن أي خطأ في هذا المفهوم يعد خطأ كبيراً يستحق التنبيه واللوم" (٣).

ثالثاً: التخطيط للرحلة: وبعد حصار المشركين لدار النبي (ﷺ) خرج ليلاً من بين أيديهم قاصداً بيت أبي بكر (رضي الله عنه) فقد أذن الله (ﷻ) له بالهجرة فأعلم أبا بكر (رضي الله عنه) بذلك "فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله قال: الصحبة... ثم قال: يا نبي الله إن هاتين راحلتان كنت قد أعددتهما لهذا فاستأجرا عبد الله بن أريقط (٤) - رجلاً من بني الدليل ابن بكر وكانت أمه

(١) الموسوعة الشريافية ٤/٢٠٦، ٢٠٨ باختصار.

(٢) انظر: سيرة النبي (ﷺ) لابن إسحاق تهذيب ابن هشام، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ١/٣٣٣ ط: مطبعة المدني.

(٣) من معين السيرة للشيخ صالح أحمد الشامي ص ١٤٥، دار المكتب الإسلامي، ط: الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.

(٤) عبد الله بن أريقط، الليثي، ثم الدبلي، دليل النبي (ﷺ) وأبي بكر لما هاجرا إلى المدينة، ثبت ذكره في الصحيح. [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني: ٤/٥، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى ١٤١٥ هـ.]

امرأة من بني سهم بن عمرو - وكان مشركاً يدلها على الطريق فدفعاً إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما" (١).

وهو ما أخذ منه الفقهاء جواز الاستعانة بالخبرة الفنية غير الإسلامية مع الاطمئنان والأمان (٢).

وهنا وبناء على المعطيات والواقع الذي أصبح فيه النبي ﷺ أخذ يرسم هو وأبو بكر طريق الهجرة. فاتفق الرسول (ﷺ) " مع أبي بكر على تفاصيل الخروج وتخيرا الغار الذي يأويان إليه، تخيره جنوباً في اتجاه اليمن لتضليل المطاردين، وحددا الأشخاص الذين يتصلان بهم في أثناء ذلك ومهمة كل شخص" (٣).

ولم ينس النبي ﷺ - وهو الأمين الصادق - أن يخلف وراءه من يرد الأمانات إلى أهلها. فعهد بهذه المهمة الفدائية إلى علي بن أبي طالب ﷺ فقد أخبره النبي ﷺ " بخروجه، وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله (ﷺ) الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله (ﷺ) ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته (ﷺ)" (٤).

ومتابعة للتخطيط كان لابد من عين للرسول ﷺ بين المشركين من قريش لمعرفة تحركاتهم وتعقباتهم له ولأبي بكر ﷺ. كما أنهما سيحتاجان للطعام في الرحلة. فاختارا ابن أبي بكر عبد الله (٥) ليتسمع لهما ما يقوله الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر، وأمر أبو بكر ﷺ عامر بن فهيرة (٦) مولاه أن يرعى غنمه

(١) سيرة النبي (ﷺ) لابن إسحاق ١/ ٣٣٥.

(٢) ينظر: التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته د/ عبد رب النبي علي أبو السعود ص ١٦١.

(٣) ينظر: فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص ١٤٤. ط دار نهضة مصر. ط الأولى.

(٤) سيرة النبي (ﷺ) لابن إسحاق ١/ ٣٣٥.

(٥) عبد الله بن أبي بكر الصديق، وهو شقيق أسماء بنت أبي بكر، مات في خلافة أبيه في شوال سنة إحدى عشرة. [الإصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ٢٤].

(٦) عامر بن فهيرة، مولى أبي بكر الصديق، يكنى أبا عمرو، وكان من السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل أن يدخل رسول الله (ﷺ) دار الأرقم، وهو مملوك، وكان حسن الإسلام، وعذب في الله، فاشتراه أبو =

نهاره ثم يريحها عليهما [يأتيهما] إذا أمسى في الغار، وكانت أسماء بنت أبي بكر (١) تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما (٢).

وبهذا نجد الرسول (ﷺ) وضع لتنفيذ هذه المهمة " خطة محكمة الحلقات متقنة التدبير، ولم تترك فيها فجوة دون أن تملأ، ولا ثغرة دون أن تسد، ووضع فيها كل جندي في دوره المناسب لظروفه وقدراته، فدور أبي بكر غير دور علي غير دور أسماء، وكل في موقعه الصحيح " (٣).

وبذلك يكون الرسول (ﷺ) أعد الخطة المناسبة للهجرة واستطاع أن يستغل الطاقات المحدودة ويوظفها التوظيف المناسب فوزع على كل واحد الدور الذي يناسبه والمهمة التي يمكن أن يقوم بها، وهذا شأنه (ﷺ) ومنهجه في حياته كلها؛ ليعطى لأمته - لاسيما الدعاة منهم - العبرة والعظة في كل مناحي حياتهم.

والمتمأمل للواقع المعاصر يجد أن أعداء قد أحسنوا التخطيط لضرب المسلمين في عقيدتهم وأخلاقهم وعباداتهم ومعاملاتهم بل وفي كل شئون حياتهم، حتى لا تقوم للإسلام راية، ولا تحقق له غاية، ولن يتم صد محاولاتهم والوقوف أمام تحقيق هدفهم إلا باتقان التخطيط وحسن توظيف الطاقات وذلك من خلال إعداد جنود الدعوة إعداداً يليق بالمسئولية المنوطة بهم والاستفادة من التقنيات الحديثة قدر الاستطاعة لمواكبة العصر والواقع بما يناسبه.

= بكر، فأعتقه، وشهد عامر بدرا وأحدا، وقتل يوم بئر معونة، سنة أربع من الهجرة، وهو ابن أربعين سنة [أسد الغابة: ٣/ ٣٢، ٣٣].

(١) أسماء بنت أبي بكر الصديق، القرشية التيمية، زوج الزبير بن العوام، وهي أم عبد الله بن الزبير، وهي ذات النطاقين، وكانت أسن من عائشة وهي أختها لأبيها وكان عبد الله بن أبي بكر أخا أسماء شقيقها. ثم إن أسماء عاشت وطال عمرها، وعميت، وبقيت إلى أن قتل ابنها عبد الله سنة ثلاث وسبعين، وماتت ولها مائة سنة. [أسد الغابة: ٦/ ٩، ١٠].

(٢) انظر: سيرة النبي (ﷺ) لابن إسحاق ١/ ٣٣٥، ٣٣٦.

(٣) التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته د/ عبد رب النبي علي أبو السعود ص ١٦٢.



### المطلب الثالث

#### التوكل على الله في حياة الداعية

إن التوكل على الله (ﷻ) عبادة قلبية تعبد بها أنبياء الله ورسله في دعوتهم لأقوامهم فبلغوا الأهداف وحققوا النتائج، فالتوكل عبادة قرينة للدعوة إلى الله ومقدمة لنتيجة حتمية لا مرية فيها ولا ريب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (١) أي كافي، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (٢)، وإن الأخذ بالأسباب وإعداد خطة مناسبة لأي أمر يقدم عليه الداعية لا ينافي التوكل على الله، ولا يتعارض معه، وقد برزت هذه اللالة الدعوية في هجرة النبي (ﷺ).

#### معنى التوكل:

لا يتوهم أحد من المسلمين أن التوكل ينافي العمل. أو أنه ينافي الأخذ بالأسباب. أو أنه ينافي الإيمان بالقضاء والقدر.

فهذا أمر مغلوط يحاول أن يوجه أعداء الإسلام، بل إن المسلم يفهم التوكل على أنه: " طاعة لله بإحضار كافة الأسباب المطلوبة لأي عمل من الأعمال التي يريد مزاولتها والدخول فيها، فلا يطمع في ثمرة بدون أن يقدم أسبابها، ولا يرجو نتيجة ما بدون أن يضع مقدماتها، غير أن موضع إثمار تلك الأسباب وإنتاج تلك المقدمات يفوضه إلى الله (ﷻ) إذ هو القادر عليه دون سواه " (٣).

ومن ثم فقد عرف العلماء التوكل بأنه " صدق اعتماد القلب على الله (ﷻ) في استجلاب المصالح ودفح المضار من أمور الدنيا والآخرة، وَكِلَةُ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيْهِ،

(١) سورة الطلاق الآية رقم [٣].

(٢) سورة آل عمران الآية رقم [١٧٣].

(٣) منهج المسلم. الشيخ/ أبو بكر الجزائري ص ١١٩، ط: دار السلام.

وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضمر ولا ينفع سواه" (١).

**التوكل على الله - عز وجل - في الهجرة:**

مع أن رسول الله ﷺ أولى الناس بنصر الله ﷻ وأجدرهم بتأييده. إلا أنه ﷺ يعلمنا أننا قبل التوكل على الله أن نعد للأمر عدته أولاً. ونستجمع له أسبابه ثم يأتي بعد ذلك صدق التوكل على الله في عدم تخلف الأسباب وبلوغها إلى نتائجها.

فلم تحدث معجزة في انتقاله ﷺ من مكة إلى المدينة. فقدره الله ﷻ كفيلة بأن تنقله من مكة إلى المدينة بالبراق كما حدث في رحلة الإسراء أو بأى وسيلة أخرى فكونه ﷺ أولى بالنصر لا يعنى إغفال الأسباب المادية.

" ومن ثم فإن رسول الله ﷺ أحكم خطة هجرته، وأعد لكل فرض عدته، ولم يدع في حسابانه مكاناً للحفظ العمياء.

وشأن المؤمن مع الأسباب المعتادة أن يقوم بها كأنها كل شيء في النجاح، ثم يتوكل - بعد ذلك - على الله، لأن كل شيء لا قيام له إلا بالله.

فإذا استفرغ المرء جهوده في أداء واجبه فأخفق بعد ذلك فإن الله لا يلومه على هزيمة بُلي بها وقلما يحدث ذلك إلا عن قدر قاهر يعذر المرء فيه.

وكثيراً ما يرتب الإنسان مقدمات النصر ترتيباً حسناً ثم يجيء عون أعلى يجعل هذا النصر مضاعف الثمرات" (٢).

لقد كان التوكل سمة ظاهرة في حياة الرسول ﷺ وقي كل فعل يفعله. بل " كان الرسول الأكرم ﷺ المثل الكامل في التوكل على الله ﷻ في جميع أفعاله، وكان ﷺ يعلن توكله على الله في كل زمان ومكان، وفي كل قول وفعل" (٣).

(١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم. لابن رجب الحنبلي ٢/٤٩٧، ط مؤسسة الرسالة - بيروت. ط السابعة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. إبراهيم باجس.

(٢) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص ١٤٤.

(٣) الإسلام وبناء الشخصية دراسة تحليلية لشخصية المسلم في ضوء الكتاب والسنة أ.د/ أحمد عمر هاشم ص ٢٧٣، ط: دار المنار بتصرف.

فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: " إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. قَالَ: «يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُقِيْتَ. فَتَتَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرٌ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هَدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُقِيْتَ؟" (١).

وها هو (ﷺ) يخرج من داره " في مكة وقد أحاط به أهل الشرك من كل مكان خرج وهو يتلو عليهم آيات من كتاب الله من سورة يس ووضع التراب على رءوسهم، وقد استعان بالله في كل أمر فخرج أمامهم ولم يره منهم أحد " (٢).

ثم إنه ﷺ لما خرج من مكة خرج متوكلاً على الله تعالى يناجي ربه ويطلب نصره فخرج وهو يقول: " الحمد لله الذي خلقتني ولم أك شيئاً اللهم أعني على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالي والأيام، اللهم اصحبني في سفري واخلفني في أهلي، وبارك لي فيما رزقتني، ولك فذللي، وعلى صالح خلقي فقومني، وإليك ربي فحبيبي، وإلى الناس فلا تكلني، رب المستضعفين وأنت ربي أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرفت له السماوات والأرض، وكشفت به الظلمات، وصلاح عليه أمر الأولين والآخرين أن تحل علي غضبك وتنزل بي سخطك أعوذ بك من زوال نعمتك. وفجأة نعمتك. وتحول عافيتك. وجميع سخطك. لك العتبي عندي خير ما استطعت لا حول ولا قوة إلا بك " (٣).

ودعا ربه كما أمره في قوله - تعالى - ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ (٤).

ومدخل الصدق " هو مدخل النصر والظفر، ومخرج الصدق هو مخرج الرضا والعودة الظاهرة بالفتح المبين، فالله تعالى كما أنسه (ﷺ) في مدخل صدقه ودار هجرته

(١) سنن أبي داود، كتاب: الأدب، باب: ما يقول إذا خرج من بيته: ٤/ ٣٢٥، حديث رقم (٥٠٩٥)، المحقق:

محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

(٢) يا غرب هذه عطور من سيرة الرسول (ﷺ) أ/ أحمد محمد عركز ص ١٦٣.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ١٧٨.

(٤) سورة: الإسراء، آية [ ٨٠ ].

وأخبره أنها دار أمن واستقرار ونصر آنسه في مخرج صدقه فأرضاه بمفارقة بلده الحبيبة إليه، أكرمه في مخرج صدقه وجعله مبارك العودة منصورًا" (١).  
فإذا كان الرسول (ﷺ) أعد لكل شيء في طريق هجرته. وخططه تخطيطًا دقيقًا لكنه مع ذلك لا يمكن إلا أن يتم إلا بتوفيق الله ونصره.  
ويتضح هذا التوكل غاية الوضوح في موقفين للنبي (ﷺ) في حادث الهجرة. يدلان على صدق توكله (ﷺ) وحسن اعتماده على ربه. وفيما يلي هذان الموقفان:

### الموقف الأول:

أما الموقف الأول فموقفه (ﷺ) عندما دخل هو وأبو بكر الصديق (رضي الله عنهما) الغار. والمشركون يبحثون عنهم حتى وصلوا إلى الغار. فلما أبصرهم سيدنا أبو بكر (رضي الله عنه) فزع خوفًا على رسول الله (ﷺ). وكان مقتضى هذا الموقف أن يفزع النبي ويتملكه الخوف. ولكن الصادق في توكله واعتماده وثقته في ربه جعله يطمئن أبا بكر (رضي الله عنه) يخبرنا سيدنا أبو بكر (رضي الله عنه) بذلك فيقول: "كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) فِي الْغَارِ. فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَأَانَا. قَالَ: مَا ظَنُّكَ بِأَتَيْنِ اللَّهَ قَالِئُهُمَا" (٢).  
وهذا يدلنا على أن "كل ما فعله من تلك الاحتياطات إذن وظيفية تشريعية قام بها، فلما انتهت من آدائها عاد قلبه مرتبطًا بالله (ﷻ) معتمدًا على حمايته وتوفيقه ليعلم المسلمون أن الاعتماد في كل أمر لا ينبغي أن يكون إلا على الله (ﷻ) ولكن لا ينافي ذلك احترام الأسباب التي جعلها الله في هذا الكون أسبابًا" (٣).

ومن ثم يظهر لنا في هذا الموقف التوكل على الله والاعتماد عليه (ﷻ) في انصاع صورته وأصدقها.

(١) محمد رسول الله: د/ صادق عرجون ٢/ ٤٦١.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب التفسير. سورة التوبة ٤/ ١٧١٢. حديث رقم (٤٣٨٦). والإمام مسلم في صحيحه كتاب: فضائل الصحابة باب: من فضائل أبي بكر (رضي الله عنه): ٤/ ١٨٥٤، حديث رقم (٢٣٨١)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) فقه السيرة للبوطي ص ١٣٨.

### الموقف الثاني:

أما الموقف الثاني فيتمثل في حادثة سراقه بن مالك رضي الله عنه (١) مما يدل على توكله رضي الله عنه واعتماده على الله تعالى في حادث الهجرة وذلك "عندما لحق به سراقه بن مالك يريد قتله وأصبح على مقربة منه، فقد كان من مقتضى الاحتياطات المحكمة التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم أن يشعر بشيء من الخوف من هذا العدو الذي يجد في اللحاق به، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يشعر بشيء من ذلك بل كان مستغرقاً في قراءته ومناجاةه لربه؛ لأنه يعلم أن الله الذي أمره بالهجرة سيمنعه الناس، ويعصمه من شرهم (٢).

فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يركن إلى الأسباب المادية التي أعدها، ولم يعتمد عليها وإنما كان ركونه واعتماده على الله تعالى، وكان على ثقة ويقين من حفظ الله عز وجل ورعايته. فعلى الداعية المسلم أن يستفرغ الجهد والطاقة في القيام بأي عمل مشروع، وأن يهيم الأسباب اللازمة لنجاحه ثم يترك النتيجة لله تعالى مسبب الأسباب وبذلك يكون متوكلاً على الله تعالى حق التوكل.

(١) سراقه بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تميم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة الكناني المدلجي، يكنى أبا سفيان، مات سراقه بن مالك سنة أربع وعشرين، أول خلافة عثمان رضي الله عنه، وقيل: إنه مات بعد عثمان. [ينظر: الكتاب: أسد الغابة لابن الأثير: ١٧٩/٢: ١٨١، الناشر: دار الفكر - بيروت ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٢) ينظر: فقه السيرة للبوطي ص ١٣٨.

---

## المبحث الثاني

### الدلالات الدعوية المتعلقة بالمدعو

برز من خلال حادث الهجرة النبوية عدة أمور توفرت في المدعويين، وتحققت فيهم، وما كان يتم لها ذلك إلا من خلال هذا الحدث العظيم الذي أثار كوامنها، والتي تعد مفخرة من مفاخر التاريخ الإسلامي، وسابقة في تاريخ الإنسانية لم تعرف له الدنيا مثيلاً، والتي تعد بحق نموذجاً يجب أن يحتذى به، وأن يسير المسلمون على ضوئه على مر العصور والأزمان.

ولقد أفردت هذا المبحث لبيان تلك الدلالات الهامة المتعلقة بالمدعويين وقد جاء في أربعة مطالب كالتالي:

المطلب الأول: حسن الصحبة.

المطلب الثاني: التضحية والفداء من جانب المهاجرين.

المطلب الثالث: الإيثار من جانب الأنصار.

المطلب الرابع: التضحية من جانب المرأة في سبيل الدعوة.

## المطلب الأول

### حسن الصحبة

إن الإنسان في هذه الحياة لا يستطيع أن يعيش منفردًا في عزلة عن بقية الناس، كما أنه يقابل كثيرًا من العقبات، ويعترض طريقه كثير من المشاكل والأزمات، فهو في حاجة إلى صديق " يلاقيه ويناجيه ويواسيه، يشاركه مسرته، ويشاطره مساءته، وكلما علا كعب المرء في مراتب الأخيار ازداد اعتزازًا بالصدقة المخلصة والصديق الوفي، والأنبياء هم النماذج العليا للبشر كانوا يعرفون للصدقة حقها ويحفظون حرمتها"<sup>(١)</sup>. وهذا ما نلمسه جليًا ووضوحًا في الدلائل المستنبطة من هجرة النبي ﷺ.

#### معنى حسن الصحبة:

إن لحسن الصحبة معنى جليل يدل على التعاون والتماسك والمحبة الخالصة. فقد عرفت حسن الصحبة بأنها "المصاحبة والمرافقة والموافقة والمجالسة على حب الله ورسوله (ﷺ)"<sup>(٢)</sup>. فالصاحب الحسن هو الذي يصير مع صاحبه كأنهما شخص واحد في اجتماعهما على طريق الله تعالى.

#### حسن الصحبة من خلال الهجرة النبوية:

لقد برزت دلالة حسن الصحبة من خلال المدعوين كأبرز ما يكون في حادث الهجرة. فمن يتأمل في الهجرة النبوية يجد النبي (ﷺ) وقع اختياره على أبي بكر (رضي الله عنه) ليكون رفيقًا له وصاحبًا، وأظهر أبو بكر (رضي الله عنه) سرورًا بهذه الصحبة، وهو يعلم أنه يقوم بأخطر هجرة يقول الأستاذ / عباس محمود العقاد<sup>(٣)</sup> عن هذا الأمر: " كانت أخطر

(١) الموسوعة الشريافية في الخطب المنبرية أد/ أحمد الشريافي ١٨٧/٤، ١٨٨ ط: الدار التونسية ١٩٨٤م.

(٢) الصحبة والصحابة. د. أحمد على الإمام ص ٩. سلسلة دعوة الحق الصادرة عن رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة. عدد ٢١٤. ١٤٢٧هـ. ٢٠٠٦م.

(٣) عباس محمود إبراهيم العقاد. ولد بإحدى قرى أسوان في عام ١٣٠٦هـ الموافق ١٨٨٩م كان إمامًا في الأدب. ظل اسمه لامعًا قرابة النصف قرن أخرج خلاله ٨٣ كتابًا في أنواع مختلفة من الأدب الرفيع. منه: =

هجرة أقدم عليها مسلم من أهل مكة إذ كان كفار قريش يقيمون لكل مهاجر من الأرصاد والعيون كفاءة قدره، وكانت أرصادهم وعيونهم على النبي (ﷺ) أكثر ما استطاعوا من عدة وكيد وحيلة، فكانت الهجرة في صحبة النبي شرفاً من شرفين لا يدري المرجح بينهما أيهما أحق بالإعظام: إما مجازفة بالحياة وإما يقين لا يخامر الريب أن النبي ناج في حماية ربه، ولو كان في الهجرة ما فيها من فراق الموطن أو الهجوم على فراق أرواح منه وأقسى وهو فراق الدنيا.. فتلقى أبو بكر الإذن بهذه الهجرة كما يتلقى البشارة بالسلامة" (١).

وكان أبو بكر (رضي الله عنه) عند ظن النبي (ﷺ) فأحسن صحبته، وأظهر مدى حرصه على سلامته، واستعداده لوقايته بنفسه، فقد روي أن النبي (ﷺ) لما انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر (رضي الله عنه) " جعل يمشي ساعة بين يديه، وساعة خلفه حتى فطن رسول الله (ﷺ) فقال: «يا أبا بكر، ما لك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي؟» فقال: يا رسول الله، أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد، فأمشي بين يديك، فقال: «يا أبا بكر، لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني؟» قال: نعم، والذي بعثك بالحق، ما كانت لتكون من ملمة إلا أن تكون بي دونك، فلما انتهيا إلى الغار، قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله، حتى أستبرئ لك الغار" (٢).

وفي الغار أيضًا يضع أبو بكر (رضي الله عنه) نفسه فداء لرسول الله (ﷺ) فقد دخل أبو بكر (رضي الله عنه) إلى الغار، وجعل يلتمس بيده، فجعل كلما وجد جحرًا قام إلى ثوبه فشقه، ثم ألقمه الجحر، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع، فبقي جحر فوضع عقبه عليه، فجعلت الحيات يلسعن أبا

---

= "الله" و"عبقرية محمد (ﷺ)" و"عبقرية الصديق" و"عبقرية عمر" و"عبقرية خالد" و"الصديقة بنت الصديق" وغيرها. توفي في عام ١٣٨٣ هـ الموافق ١٩٦٤ م. (انظر: الأعلام للزركلي ٣/ ٢٦٦. ط دار العلم للملايين. بيروت. ط الخامسة ١٩٨٠ م.

(١) عبقرية الصديق أ/ عباس محمود العقاد ص ١٠٢، ١٠٣، ط: دار المعارف - ط الثالثة عشر.

(٢) المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری: ٧/٣، حدیث رقم (٤٢٦٨)، تحقیق: مصطفی عبدالقادر عطا، الناشر: دار الکتب العلمیة - بیروت، ط: الأولى ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م.



بكر وجعلت دموعه تنحدر.

ثم إن رسول الله (ﷺ) "لما أصبح قال لأبي بكر: "أين ثوبك؟" فأخبره بالذي صنع، فرفع رسول الله (ﷺ) يديه فقال: "اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة" فأوحى الله إليه: "قد استجاب الله تعالى لك" (١).

وكانت قريش قد علمت بخروج النبي (ﷺ) وصاحبه فأخذت تقص آثارهما إلى أن انتهت إلى الغار، وكان أبو بكر (رضي الله عنه) يرتقب كما حدث عن نفسه في صحيح البخاري قال: "كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَأَى قَالَ: مَا ظَنُّكَ بِأَتَيْنِ اللَّهَ تَالِثُهُمَا" (٢).

ولم يترك القرآن الكريم " هذا الموقف دون تسجيل وتنويه بشأن الصحبة والصدقة، وحسب أبي بكر شرفاً أن يظل وصفه بالصحبة لخاتم المرسلين المذكوراً في القرآن مردداً على شفاه الملايين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يقول القرآن: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣).

ومعنى الصحاب في الآية يعني المتصف بالصحبة وهي المعية في أغلب الأحوال ومنه سميت الزوجة صاحبة (٤).

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للإمام الشامي تحقيق الشيخ أحمد عبد الموجود والشيخ/علي محمد معوض ٣/٢٤٠، ط دار الكتب العلمية. بيروت. ط الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب التفسير. تفسير سورة التوبة ٤/١٧١٢. حديث رقم ٤٣٨٦. والإمام مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة. باب: فضائل أبي بكر الصديق ٤/١٨٥٤. حديث رقم ٢٣٨١.

(٣) الموسوعة الشرباصية ٤/١٨٩، بتصريف يسير، والآية رقم [٤٠] من سورة التوبة.

(٤) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام للإمام السهيلي تعليق: مجدي بن منصور بن سيد الشوري ٢/٣١٧، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى.

ويلفت نظرنا صاحب الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية إلى أمر مهم في هذه الآية هي أن النبي (ﷺ) قال لأبي بكر (رضي الله عنه) " لا تحزن " ولم يقل لا تخف لأن حزنه على رسول الله (ﷺ) شغله عن خوفه على نفسه، ولأنه أيضًا رأى ما نزل برسول الله (ﷺ) وكونه في ضيقة الغار مع فرقة الأهل ووحشة الغربة، وكان أرق الناس على رسول الله (ﷺ) وأشفقهم عليه فحزن لذلك" (١).

وأبانت هذه الآية عن " فضل أبي بكر بسبب صحبته النبي (ﷺ) في أحلك الظروف وشدة الخوف، وتعرضه للقتل إن عثر المشركون عليه، وعلى النبي، واختيار النبي له لعلمه بأنه من المؤمنين الصادقين؛ ولأن الظاهر يدل على كون الاختيار بأمر الله، ولتسميته بأنه " ثاني اثنين " ولو وصف الله - تعالى - أبا بكر بكونه صاحبًا للرسول (ﷺ). قال الليث بن سعد (٢): ما صحب الأنبياء عليهم السلام مثل أبي بكر الصديق" (٣). وهذا كلام حق فإن أبا بكر كان في كل ذلك يضع روحه فداءً للنبي (ﷺ). بل يفديه بالأب والأم. وهذا ما يقوله للنبي (ﷺ) بلسانه وقلبه. فعندما هدأ الطلب على رسول الله (ﷺ) وصاحبه وأتاهما الدليل بالراحتين في الموعد المحدد قرب أبو بكر (رضي الله عنه) الراحتين إلى رسول الله (ﷺ) وقدم له أفضلهما قائلاً: اركب فذاك أبي وأمي (٤).

- 
- (١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير للإمام الطاهر بن عاشور ٢٠٣/١٠، ط: دار التونسية ١٩٨٤ م.
- (٢) الليث بن سعد: أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن إمام أهل مصر في الفقه والحديث، كان مولى قيس بن رفاعه، وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي وأصله من أصبهان، وكان ثقة سريراً سخياً، وتوفي يوم الخميس - وقيل الجمعة - منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ومائة ودفن يوم الجمعة بمصر في القرافة الصغرى، وقبره أحد المزارات، رضي الله عنه. وقال السمعاني: ولد في شعبان سنة أربع وعشرين ومائة، والأول أصح. وقال غيره: ولد سنة ثلاث وتسعين، والله أعلم بالصواب. [وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان: ١٢٧/٤، ١٢٨، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت..]
- (٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج أد/ وهبة الزحيلي ٢٢٠/١٠، ط: دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط: الثانية ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م.
- (٤) ينظر: سيرة النبي (ﷺ) لابن إسحاق: ٣٣٦/١.

ولننظر إليه في موقف آخر كيف بقي رسول الله ﷺ من حر الشمس. فقد خرجنا من الغار ثم إنهما سارا يومهما وليتهدما يقول أبو بكر (رضي الله عنه) عن ذلك: "خرجنا فأدلجنا فأحيينا يومنا وليتهدنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فضربت ببصري هل أرى ظلاً نأوي إليه، فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها فإذا بقية ظلها فسويته لرسول الله (ﷺ) وفرشت له فروة، ثم قلت اضطجع يا رسول الله وأنا أنفض لك ما حولك، ثم خرجت هل أرى أحداً من الطلب فإذا براع مقبل بغنمه يريد من الصخرة ما أردنا فلقيته فقلت له: لمن أنت يا غلام؟ فقال لرجل من أهل مكة فسماه فعرفته، فقلت له: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم فأمرته فاعتقل شاة منها فقلت: انفض الضرع من التراب والقذى فحلب لي في قعب (١) معه كُثبة (٢) من لبن ومعه إداوة أرتوى فيها للنبى (ﷺ) يشرب منها ويتوضأ على فمها خرقة، فأتيت النبى (ﷺ) وكرهت أن أوقظه من نومه، فوقفت حتى استيقظ، فصببت على اللبن من الماء حتى برد أسفله، فقلت: يا رسول الله اشرب من هذا اللبن، فشرب حتى رضيت" (٣).

وفي كل المواقع يقف أبو بكر رضي الله عنه فداء لرسول الله ﷺ فعندما وصلا إلى بني عمرو بن عوف بقباء (٤) "قام أبو بكر في الناس يتكلم فيهم وجلس رسول الله (ﷺ) صامتاً لا يتكلم

(١) قعب: القعب: القدح الضخم، الغليظ. الجافي؛ وقيل: قدح من خشب مقعر؛ وقيل: هو قدح إلى الصغر، يشبه به الحافر، وهو يروي الرجل. [لسان العرب: ١/ ٦٨٣].

(٢) الكثبة: كل طائفة من طعام أو تمر أو تراب أو نحو ذلك، فهو كثبة، بعد أن يكون قليلاً. وقيل: كل مجتمع من طعام، أو غيره، بعد أن يكون قليلاً، فهو كثبة. ومنه سمي الكثيب من الرمل، لأنه انصب في مكان فاجتمع فيه. [لسان العرب: ١/ ٧٠٣].

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣/ ٢٤٣، ٢٤٤، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: في اللقطة، باب: من عرف اللقطة ولم يدفعها إلى السلطان: ٣/ ١٢٧، حديث رقم (٢٤٣٩)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.

(٤) قباء: بالضم: وأصله اسم بئر هناك عرفت القرية بها، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار، تقع على ميلين من المدينة [معجم البلدان لياقوت الحموي: ٤/ ٣٠١، الناشر: دار صادر، بيروت، ط: الثانية ١٩٩٥م].

---

حتى إن الرجل يجي من الأنصار ولم يكن يعرف رسول الله، ورسول الله جالس، حتى إذا جاءت الشمس عليه قام أبو بكر يظلمه بردائه فعرفوا رسول الله (ﷺ) " (١).  
وبذلك يكون أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ضرب أروع الأمثلة في حسن الصحبة،  
والحرص على سلامة رسول الله (ﷺ) وتقديم ما يلزم لذلك من نفس ومال وولد.  
فعلى الداعية أن يحسن اختيار أصدقائه وأصحابه؛ لأن طريق الدعوة لا يحتمل  
صحبة تقوم على المجاملة أو الحظوظ بل تقوم على الثقة بالنصرة والوفاء حتى يقول  
الواحد لأخيه إنما أنت أنا.  
والداعية بحاجة إلى صحبة تذكره إذا نسي وتهون عليه المصائب إذا اشتدت،  
وتدخل الفرح في قلبه إذا حزن، وتؤنسه إذا استوحش، وما أحوجنا في هذه الأيام إلى أن  
تقوم العلاقات بين الناس على التصادق في الله (ﷻ) والتناصر على تأييد الحق والتعاون  
على البر والتقوى لتصبح الصداقة حقيقية وتثمر أطيب الثمر وينال صاحبها رضا الله  
(ﷻ).

---

(١) اتحاف النبلاء بسيرة سيد الأنبياء للأستاذ عبد العظيم بن بدوي الخلفي "لقبا" ص ١٨٣ ط: شركة علوم  
الحاسب كمبيوتر ساينس - ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

## المطلب الثاني

### التضحية والفداء من جانب المهاجرين

برز من خلال الهجرة النبوية خلقًا جسده المهاجرون في أعلى صورته، وأبلغ مراميه، وهو خلق التضحية، ذلك بعد أن تحملوا في سبيل الله (ﷺ) والإيمان برسوله (ﷺ) أقسى أنواع التعذيب والاضطهاد، فاحتملوا في سبيل الله " كل شيء الضرب والجرح والحرق والجوع والسهر، واستحلوا في سبيل الله المرائر، واستحبوا أبغض المكاره إلى النفوس إن كان فيها رضا الله " (١).

#### معنى التضحية:

والتضحية معناها " بذل كل ما نملك وما نستطيع من أجل حماية الدين والوطن والأرض والعرض والأمة الإسلامية " (٢) فالتضحية أن يتخلى الإنسان عن أغلى ما يملك في سبيل هدف أسمى.

#### التضحية والفداء في الهجرة النبوية:

لقد كانت فتنة المسلمين من أصحاب رسول الله (ﷺ) في مكة فتنة الإيذاء والتعذيب وما يروونه من المشركين من ألوان الهزء والسخرية، فلما أذن لهم الرسول بالهجرة أصبحت فتنتهم في ترك وطنهم وأموالهم ودورهم وأمتعتهم. ولقد كانوا أوفياء لدينهم مخلصين لربهم أمام الفتنة الأولى والثانية حيث قابلوا المحن والشدائد بصبر ثابت وعزم عنيد، حتى إذا أشار لهم الرسول بالهجرة إلى المدينة توجهوا إليها وقد تركوا من ورائهم الوطن وما لهم فيه من مال ومتاع...، ذلك أنهم خرجوا مستخفين متسللين ولا يتم ذلك إلا إذا تخلصوا من الأمتعة والأثقال، فتركوا كل ذلك في مكة ليسلم لهم الدين، واستعاضوا عنه بالإخوة الذين ينتظرونهم في المدينة

(١) رجال من التاريخ للأستاذ/ علي الطنطاوي ص ١٧، ط: مؤسسة الرسالة، ط السادسة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٢) التضحية والفداء في الإسلام. جمعة أمين عبد العزيز ص ٣. ط دار الدعوة القاهرة.

ليؤوهم وينصروهم (١).

لقد ضحوا بالغال والنفيس من أجل من عقيدتهم. تركوا الأوطان مكرهين. وتركوا المال شقيق النفس. وتركوا الأهل والأوطان. مما يزيد من معنى الهجرة ويضفي على الهجرة بل ويصبغها بالتضحية.

وهو الأمر الذي صوره الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله) بقوله عنها: " ليست الهجرة انتقال موظف من بلد قريب إلى بلد ناء، ولا ارتحال طالب قوت من أرض مجدبة إلى أرض مخصبة.

إنها إكراه رجل آمن في سر به ممتد الجذور في مكانه على إهدار مصالحه وتضحية أمواله والنجاة بشخصه فحسب وإشعاره - وهو يصفى مركزه - بأنه مستباح منهوب قد يهلك في أوائل الطريق أو نهايتها، وبأنه يسير نحو مستقبل مبهم لا يدري ما يتمخض عنه من قلاقل وأحزان، ولو كان الأمر مغامرة فرد بنفسه لقيلاً: مغامر طياش فكيف وهو ينطلق في طول البلاد وعرضها يحمل أهله وولده؟ وكيف وهو بذلك رضي الضمير وضاء الوجه؟! إنه الإيمان الذي يزن الجبال ولا يطيش" (٢).

ولقد تابعت أفواج المهاجرين إلى المدينة بالواحد والاثنين. يخفون حركتهم من المشركين فرارا بدينهم. وفرارا إلى الله ورسوله ﷺ.

ولننظر إلى تضحية واحد من صحابة النبي الأجلاء. والتي تبقى غرة في جبين الزمن.

ورمزا لكل تضحية.

لقد كان من أول المهاجرين إلى المدينة المنورة الصحابي الجليل أبو سلمة رضي الله عنه (٣).

(١) ينظر: فقه السيرة للبوطي ص ١٣٠.

(٢) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص ١٤١.

(٣) أبو سلمة هو: عبْد الله بن عبْد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤي القُرَشِيّ المخزومي، يكنى أبا سَلْمَة، وهو ابنُ عمّة رسول الله (ﷺ)، أمة برة بنت عبْد المطلب، وهو أخو رسول الله (ﷺ)، وأخو حمزة بن عبْد المطلب من الرضاعة، أرضعتهم ثويبة مولاة أبي لهب أرضعت حمزة (ﷺ)، ثمّ رسول الله (ﷺ)، ثمّ أبا سَلْمَة (ﷺ). وهو ممن غلبت عَلَيْهِ كنيته، ومات بالمدينة لما رجع =

حمل معه زوجته وابنه فقام إليه أصهاره وقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبك هذه؟ علام تترك تسير بها في البلاد؟ فأخذوا زوجته منه، فغضب رهط أبي سلمة وقالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا.

فتجاذبوا سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلقوا به وحبس بنو المغيرة أم سلمة عندهم وانطلق أبو سلمة وحده إلى المدينة<sup>(١)</sup>.

وانظر إلى التضحية بالمال. وبما جمعه الإنسان الشريف من كده وعرقه. كيف يتركه مقابل دينه وعقيدته.

فعندما أراد الصحابي الجليل صهيب الرومي<sup>(٢)</sup> الهجرة إلى المدينة " قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكًا حقيرًا فكثير مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك، فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم قال: فإني جعلت لكم مالي... قال فبلغ ذلك رسول الله<sup>(ﷺ)</sup> فقال: ربح صهيب، ربح صهيب"<sup>(٣)</sup>.

وقد أثنى الله<sup>(ﷻ)</sup> على هؤلاء المهاجرين الذين قدموا العقيدة على كل شيء، وضحوا في سبيلها بكل ما يملكون وجعل لهم نصيبًا في الفياء فقال: ﴿مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا

= من بدر، وهو زوج أم سلمة قبل النبي<sup>(ﷺ)</sup>. [أسد الغابة: ٣/١٩٠، ١٩١].

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ص ٤٠٤. تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، ط: دار ابن كثير - بيروت، الثالثة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٢) صهيب بن سنان بن مالك. ويقال خالد بن عبد عمرو بن عقيل. ويقال: طفيل بن عامر بن جندلة بن سعد ابن خزيمة بن كعب وأمه من بني مالك بن عمرو بن تميم، وهو الزومي. قيل له ذلك لأن الزوم سبوه صغيراً، ومات صهيب سنة ثمان وثلاثين: وقيل سنة تسع. [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني: ٣/٣٦٤: ٣٦٦].

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ص ٤١١ باختصار.

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ \* لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ  
فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١﴾.

فوصفهم الله (ﷺ) في هذه الآية بعدة أوصاف يقول الأستاذ الدكتور / وهبة الزحيلي:  
" وصف الله - تعالى - المهاجرين بأوصاف ستة: أولها: أنهم فقراء، وثانيها: أنهم  
مهاجرون، وثالثها: أنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم، ورابعها: أنهم يبتغون فضلاً من  
الله ورضواناً والفضل ثواب الجنة، والرضوان قوله تعالى: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٢)،  
وخامسها: ﴿ وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ بأنفسهم وأموالهم، وسادسها ﴿ أُولَئِكَ هُمُ  
الصَّادِقُونَ ﴾ في دينهم لهجرهم لذات الدنيا وتحملهم شدائدتها" (٣).

إنها نماذج صادقة يقدمها الإسلام للأجيال اللاحقة تحتذي بها. وتسير على نهجها.  
فصحابة النبي قمم شامخة في التضحية من أجل العقيدة.

لقد سطوروا في سجل التاريخ أروع ما تكون التضحية حتى إن " المدينة الفاضلة التي  
تعشقها الفلاسفة وتخيلوا فيها الكمال جاءت في سطور الكتب دون ما صنع المهاجرون  
الأولون، وأثبتوا به أن الإيمان الناضج يحيل البشر إلى خلائق تباهي الملائكة سناء  
ونضارة" (٤).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فمن وراء ذلك مثلاً آخر للتضحية والفداء قدمه  
الشاب علي بن أبي طالب (عليه السلام) لما اجمعت قريش أمرها على التخلص من رسول الله  
(ﷺ) و" اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله (ﷺ)  
مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي وتسج بردي هذا الحضرمي الأخضر  
فمن فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم، وكان رسول الله (ﷺ) ينام في برده ذلك

(١) سورة: الحشر، الآيتان [ ٧، ٨ ].

(٢) سورة: التوبة، من الآية [ ٧٢ ].

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والنهج أد/ وهبة الزحيلي: ٩٠ / ٢٨.

(٤) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص ١٤١.



إذا نام" (١).

فإذا علي بن طالب عليه السلام ذلك الشاب الذي يقدم نفسه فداء لدينه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ينام مكان النبي صلى الله عليه وسلم. لا يخاف ولا يرتعش. وهو يعلم أنهم ربما قتلوه يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم. ولكنها التضحية من أجل العقيدة التي تغلغت في النفوس. وقد يرد اعتراض بان هذا ليس عملاً فدائياً، ولا فيه أي نوع من أنواع البطولة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بأنه لن يخلص إليه شيء يكرهه، وقد أورد هذا الاعتراض الإمام الزرقاني وأجاب عليه بقوله: "أمره بالنوم وامثاله فصدق أنه بالامثال باع نفسه قبل بلوغ الخبر، ويحتمل أنه فهم أنه لن يخلص إليك ما دام البرد عليك لجعله ذلك علة لأمره بتغطيه به، والبرد لا يؤمن زواله عنه بريح أو انقلاب" (٢).

ولما أصبح المجتمعون بباب النبي صلى الله عليه وسلم وعلموا أن علياً هو الذي ينام في فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عنه فقال: لا أدري أمرتموه بالخروج فخرج فضربوه وأخرجوه إلى المسجد، وحبسوه ساعة ثم تركوه، ونجى الله رسوله من مكرهم، وقام علي يؤدي أمانة النبي صلى الله عليه وسلم ويفعل ما أمره به (٣).

وبعد أن فرغ علي بن أبي طالب من ذلك "هاجر إلى المدينة فكان يسير بالليل ويكمن بالنهار حتى قدم المدينة وقد تفتطرت قدماه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا لي علياً فقيل: لا يقدر يمشي فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم واعتنقه وبكى رحمة لما بقدمه من الورم وتفل في يديه وأمرهما على قدميه فلم يشكهما بعد حتى قتل" (٤).

وإن المتأمل لما قدمه السابقون لهذا الدين يشعر بالخزي الذي يندى له الجبين وإن الدعاة في زماننا لو قارنوا خدمتهم لهذا الدين وتضحيتهم له - إن كان هناك من تضحية -

(١) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن إسحاق: ١/٣٣٣.

(٢) شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني ١/٣٢٢، ط: دار المعرفة - بيروت ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/١٠٣، ط: دار صادر - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

(٤) المرجع السابق: ٢/١٠٦.

---

بما قدمه الأولون من بذل الأنفس وترك الأموال والأوطان والفرار للدين لما كان للمقارنة وجه فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض، وهذا الدين لا يقوم على الكلمات الجوفاء بل على التضحية والفداء، والدعوة في أيامنا هذه تحتاج من الدعاة أن يضحوا لأجلها بالوقت والمال والجهد وبكل ما يمكن التضحية به كل قدر استطاعته، وما من شيء إلا وله من الله ثمن، وفرق بين من يضحى لدينه ومن يضحى به.

### المطلب الثالث

#### الإيثار من جانب الأنصار

جسد الأنصار الكرام - رضوان الله عليهم - خلقاً كان من النادر وجوده في أيامهم ويعز وجوده حتى في هذه الأيام. ولكن هذا الخلق تجسد فيهم كأحسن ما يكون. حتى صار مثلاً يضرب ويقاس عليه.

#### مفهوم الإيثار:

الإيثار خلق من الأخلاق الفاضلة. وهو يعني التفضيل ومن ثم يقصد بالإيثار " تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية ورغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة يقال: أثرته بكذا أي: خصصته به وفضلته" (١).

ومن ثم فإن معنى الإيثار تفضيل الغير في الأمور الدنيوية.

#### إيثار الأنصار من خلال الهجرة النبوية:

لقد بدا خلق الأيثار بأجلى صورة وأحسنها وأفضلها متمثلاً في الأنصار- رضوان الله عليهم - فقد أحاطوا الدين الجديد ونبيه وأصحابه بحماية ورعاية قل أن يوجد لها نظير . فقد كان من نتائج إيمان الأنصار برسول الله (ﷺ) ومبايعتهم له وتعهدهم بنصرته عدة نتائج كان من أهمها " أن دعا رسول الله (ﷺ) المسلمين إلى الهجرة إلى المدينة، كما كان من نتائج ذلك أن ظهرت ظاهرة عظيمة من التكافل بين المسلمين ففتحت بيوت الأنصار أبوابها وقلوب أصحابها لوفود المهاجرين، واستعدت لاحتضانهم - رجالاً ونساء - إذ أصبح المسكن الواحد يضم المهاجري والأنصاري، والمهاجرة والأنصارية، يتقاسمون المال والمكان والطعام والمستولية الإسلامية" (٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، مراجعة د/ محمد إبراهيم الحفناوي، وتخرىج د/ محمود حامد عثمان: ٢٦/١٨، ط: الأولى، ط: دار الحديث ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث د/ علي الصلابي مراجعة: محمد عبد المعطي عبد الرحيم =

والعجيب في هذا الأمر أنه كان في بداية بناء المجتمع ولما يصل إليه رسول الله (ﷺ) بعد.

ولما هاجر النبي (ﷺ) إلى المدينة قال له الأنصار: "اقسم بيننا وبينهم النخل قال: لا، قال: يكفوننا المؤونة ويشركوننا في التمر، قالوا: سمعنا وأطعنا"<sup>(١)</sup>.  
وبلغ الأنصار حدًا من الإيثار أرضى إخوانهم المهاجرين وجعلهم يثنون عليهم حتى خشى المهاجرون أن يذهب الأنصار بالأجر كله، فقد روي عن أنس بن مالك<sup>(٢)</sup> (ﷺ) قال: لما قدم النبي (ﷺ) المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا قوما أبدل من كثير ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنة حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله. فقال النبي (ﷺ): «لا ما دعوتم الله لهم وأثنتم عليهم»<sup>(٣)</sup>.

وهذه بعض النماذج التي تعد مثالًا في الإيثار يقاس عليه:

١- فقد كان من أوائل ما فعله النبي (ﷺ) أنه آخى بين المهاجرين والأنصار، وكان ممن آخى بينهم النبي (ﷺ) "عبد الرحمن بن عوف"<sup>(٤)</sup>، وسعد بن

= أحمد (محمد رحمي القنائي): ٣١٥/١، ط: دار الأندلس الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.  
(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب: إيحاء النبي بين المهاجرين والأنصار: ٣٢/٥، حديث رقم (٣٧٨٢).

(٢) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله (ﷺ)، وأحد المكثرين من الرواية عنه، مات سنة إحدى وتسعين، وقيل: اثنتين وتسعين، وقيل: ثلاث وتسعين. [الإصابة في تمييز الصحابة: ١/٢٧٥: ٢٧٧].

(٣) سنن الترمذي، أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: منه: ٦٥٣/٤، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط: الثانية ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

(٤) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ عَوْفِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زَهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مَرَّةِ الْقُرَشِيِّ الرَّهْرِيِّ، يكنى أبا مُحَمَّدٍ. كَانَ اسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ: عَبْدُ عَمْرٍو، وَقِيلَ: عَبْدُ الْكَعْبَةِ، فَسَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَبْدَ الرَّحْمَنِ. وَأُمُّهُ الشَّافِيَّةُ بِنْتُ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زَهْرَةَ، وَوُلِدَ بَعْدَ الْفِيلِ بِعَشْرِ سِنِينَ، وَأَسْلَمَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الرَّسُولُ (ﷺ) دَارَ الْأَرْقَمِ وَكَانَ أَحَدَ الثَّمَانِيَةِ الَّذِينَ سَبَقُوا إِلَى الْإِسْلَامِ، مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ. =

الربيع<sup>(١)</sup>، فيضرب سعد بن الربيع رضي الله عنه مثلاً في الإيثار.

فيقول لعبد الرحمن رضي الله عنه: إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها. قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟... " (٢).

٢- ومن نماذج الإيثار في ذلك المجتمع. أنه لم يكن التوارث بينهم على الأرحام، وإنما كان على هذه الإخوة التي أقامها رسول الله ﷺ واستمر ذلك التوارث المادي حتى نزل قوله - تعالى - بعد غزوة بدر ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ (٣).

وقد سجل القرآن الكريم موقف الأنصار من المهاجرين وأثنى عليهم فقال ﷺ: " ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤِثِّرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤).

فهذه التعبيرات القرآنية التي تفيض بما كان يملأ قلوب الأنصار من مشاعر خيرة فياضة تجاه إخوانهم المهاجرين. فهي قلوب نقية تفيض بالحب ولا تجد فيها أي أثر

= وقيل سنة اثنتين، وهو الأشهر. وعاش اثنتين وسبعين سنة، وقيل ثمانيا وسبعين، ودفن بالبقيع. [أسد الغابة ط الفكر: ٣/٣٧٦، الإصابة في تمييز الصحابة: ٤/٢٩٣].

(١) سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، لما كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ يومئذ: من يأتيني بخبر سعد بن الربيع؟ فقال رجل: أنا، فذهب يطوف في القتلى، فقال له سعد: ما شأنك؟ قال: بعثني رسول الله ﷺ لأتية بخبرك، قال فذهب إليه فأقرئه مني السلام، وأخبره، أني قد طعنت اثنتي عشرة طعنة، وإني قد أنفذت مقاتلي. [أسد الغابة: ٢/١٩٦، ١٩٧].

(٢) صحيح البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، باب: إيحاء النبي بين المهاجرين والأنصار: ٣١/٥، حديث رقم (٣٧٨٠).

(٣) ينظر: في ذكرى الهجرة النبوية الشيخ محمد عبد المجيد زيدان ص٦، ٧، مقال ضمن منبر الإسلام.

(٤) سورة: الحشر، آية [٩].

لحقد أو حب للذات وإنما إثثار على النفس حتى لو كانت في قمة الحاجة لما تؤثر به غيرها. مما يخالف طبيعة النفس المخلوقة على الشح. مما يجعلهم ما المفلحين.

يقول الإمام ابن كثير (١): " قد ثبت لجميع من أسلم من أهل المدينة وهم الأنصار الشرف والرفعة في الدنيا والآخرة قال الله - تعالى -: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢)، وقال - تعالى -: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣)،

ثم يورد كثير رحمه الله أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ يبين فيها ما للأنصار من فضل فيقول: " لولا الهجرة لكنت امراء من الأنصار، ولو سلك الناس واديًا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبهم الأنصار شعار والناس دثار " (٤)، وقال: " الأنصار كرشي وعيبي " (٥)، وقال: " أنا سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم " (٦).

وقال رسول الله (ﷺ): " الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق فمن

(١) اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير ابن زرع البصري، ثم الدمشقي، الشافعي المعروف بابن كثير (عماد الدين، أبو الفداء) محدث، مؤرخ، مفسر، فقيه، ولد بجنبدل سنة ٧٠٠هـ، وانتقل إلى دمشق، ونشأ بها، وتوفي بها في شعبان سنة ٧٧٤هـ. [معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ٢/٢٨٣، ٢٨٤، الناشر: مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت].

(٢) سورة: التوبة، آية [ ١٠٠ ].

(٣) سورة: الحشر، آية [ ٩ ].

(٤) صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف: ١٥٧/٥، حديث رقم (٤٣٣٠).

(٥) صحيح البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، باب: قول النبي: أقبلوا من محسنهم: ٣٥/٥، حديث رقم (٣٨٠١).

(٦) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ٣/٢٠٣، ط: دار الفكر العربي، الأولى ١٣٥١هـ ١٩٣٢م.

أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله" (١).

وقال - عليه الصلاة والسلام - : " آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار " (٢).

فالنبي ﷺ يبين ما للأنصار من فضل حتى بين أن حب الأنصار علامة الإيمان وإن بغض الأنصار علامة النفاق.

وإن المواساة والإيثار لم تكن مواساة ولا إيثارا يتغلف بالكرهية والندم على ذلك المؤثر به. وإنما كانت " مواساة تكرم لسد خلة أو دفع حاجة ولكنها مواساة حب مزج بينهم فجعل من محبتهم وحدة إيمانية لا تعرف لغير هذا الإيمان سلطانا، والحب أقصى ما تبلغ العواطف في إخلاص يذيب الأنانية وإيثار النفس بكل محبوب، ويحقق وحده شعورية لا يبقى فيها مكاناً (لأنا) و (أنت) و (هو) " (٣).

وبذلك استحق الأنصار ذلك الثناء العطر من الله (ﷻ) ومن رسوله (ﷺ).

فما أروع هذا الإيمان الذي تغلب على قلوب أصحابه وسيطر على نفوسهم، وملك جوانحهم فهانت لديهم الدنيا، واستعذبوا في سبيله الآلام، ومنحوا من أجل الحفاظ عليه بكل غال ونفيس، فسجل الله (ﷻ) أعمالهم، وكتب لهم الخلود في العالمين منوها بذكرهم، وسطر التضحياتهم وفدائهم.

(١) صحيح البخارى، كتاب: مناقب الأنصار، باب: حب الأنصار: ٥ / ٣٢، حديث رقم (٣٧٨٣).

(٢) صحيح البخارى، كتاب: مناقب الأنصار، باب: حب الأنصار: ٥ / ٣٢، حديث رقم (٣٧٨٤).

(٣) محمد رسول الله (ﷺ): ٢ / ٥٥٢.

## المطلب الرابع

### التضحية من جانب المرأة في سبيل الدعوة

دلت الهجرة النبوية وما قامت به المرأة من دور جليل في هذا الحدث العظيم على حاجة الدعوات الإصلاحية إلى النساء. فلقد كانت المرأة في الهجرة النبوية بجانب الرجل. خطواتها مع خطواته. وقدمها مع قدمه. لم تبال في سبيل الدعوة بالتضحية بالنفس أو المال. فقامت بالمخاطرة مثلها مثل الرجل.

لقد ضربت المرأة أروع الأمثلة في جهادها من أجل الدعوة. والدليل على ذلك بعض النماذج لنساء شاركن في الهجرة النبوية، وكان لهن دور بارز فيها، وقمن بتضحيات كبيرة في سبيل الدعوة منهن على سبيل المثال:

#### ١- السيدة أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنها):

من بين النساء اللاتي كان لهن دور بارز في هجرة المصطفى (ﷺ) وصاحبه من مكة إلى المدينة امرأة " نابت عن النساء حين مثلتهن في هذا الموقف العظيم، امرأة لم تقطع معهما الطريق كله، ولكن أمدتهما بالطعام والزاد، وكذلك تصنع المرأة إذا لم تصل مع الرجل إلى كل ميدان وصل إليه، فإن لها الفضل في إمداده وعونه، فلولا المرأة (المرأة أمًا والمرأة زوجًا وسكنًا) ما استطاع الرجال خوض هذه الغمرات" (١).

لقد كان للسيدة أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنها وعن أبيها) في الهجرة دور بارز وخدمات جليلة قدمتها للدعوة. ومن ذلك:

- أنها هي التي كانت تعد الطعام وتحمله إلى رسول الله (ﷺ) وصاحبه في الغار والتي أرادت أن تعلق السفارة (٢) ذات مرة ولم يكن لها عصام (٣) فشقت نطاقها (٤) نصفين

(١) رجال من التاريخ للأستاذ علي الطنطاوي ص ٢٨.

(٢) السفارة: طعام يتخذه المسافر. [لسان العرب: ٤ / ٣٦٨].

(٣) العصام: عصام القربة والدلو: حبل تشد به. [لسان العرب: ١٢ / ٤٠٧].

(٤) النطاق: حزام يشد به الوسط.. أو هو وإزار تلبسه المرأة تشده على وسطها للمهنة (المعجم الوسيط).

مجمع اللغة العربية ١ / ٢ (٩٣١).



فعلقت السفارة بواحد وانتطقت بالآخر فسميت بذات النطاقين<sup>(١)</sup>.  
ومما لا شك فيه أنها بهذا العمل تخاطر بحياتها. وتعلن التحدي لقريش وعيونها.  
ولكن عزيمتها فوق ذلك كله.

- كذلك كانت محل ثقة النبي ﷺ وصحبه فلقد احتفظت السيدة أسماء (رضي الله عنها) بسر الهجرة فلم تطلع عليه أحدًا من المشركين مع ما تعرضت له من البطش والتنكيل، فقد روى ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> " عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: لما خرج رسول الله (ﷺ) وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبي بكر فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي. قالت: فرفع أبو جهل يده وكان فاحشًا خبيثًا فلطم خدي لطمه طرح منها قُرطي"<sup>(٣)</sup>.

- كما أنها أوهمت جدها بأن أباه ترك وراءه مالا كثيرا، وكان أبو بكر (رضي الله عنه) قد احتمل ماله كله، فقد روى عنها أنها قالت: " لما خرج رسول الله (ﷺ) وخرج معه أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف فانطلق بها معه قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه. قالت: قلت: كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا قالت: فأخذت أحجارا فوضعتها في كوة<sup>(٤)</sup> في البيت [الذي] كان أبي يضع ماله فيه، ثم وضعت عليها ثوبا، ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه فقال: لا بأس إذا كان ترك هذا فقد أحسن. وفي هذا بلاغ لكم. ولا والله ما ترك لنا شيئا ولكني أردت أن أسكن

(١) ينظر: سيرة النبي (ﷺ) لابن إسحاق ١/ ٣٣٧.

(٢) ابن إسحاق هو: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: من أقدم مؤرخي العرب، من أهل المدينة. له (السيرة النبوية) هذبها ابن هشام. و(كتاب الخلفاء) و(كتاب المبدأ). وكان قدريا، ومن حفاظ الحديث. زار الإسكندرية سنة ١١٩ هـ وسكن بغداد فمات فيها سنة ١٥١ هـ ودفن بمقبرة الخيزران أم الرشيد. [الأعلام للزركلي: ٦/ ٢٨، الناشر: دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر ٢٠٠٢م].

(٣) سيرة النبي (ﷺ) لابن إسحاق ١/ ٣٣٧.

(٤) الكوة: الخرق في الحائط والثقب في البيت ونحوه. [لسان العرب: ١٥/ ٢٣٦].

الشيخ بذلك" (١).

وهذا مثل للشجاعة في غاية الروعة. إذ تعطي لجدها الاطمئنان حتى تتم الهجرة على خير. ولا يكون هناك أي أثر من خوف أو حزن من أبي قحافة على ابنه.

- ثم تعطي السيدة أسماء مثلاً آخر ودلالة أخرى على مدى التضحية في سبيل الدعوة. فلقد هاجرت إلى المدينة وهي في أيامها الأخيرة في الحمل بعبد الله بن الزبير (٢) فأنت المدينة فنزلت بقاء فولدته بها (٣).

٢- السيدة عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنها):

أما السيدة عائشة (رضي الله عنها) الصديقة بنت الصديق. فلقد شاركت مع أختها أسماء في إعداد الطعام. وإخفاء سر الهجرة. رغم صغر سنها " هي الفتاة التي ما زالت في نحو العاشرة من عمرها يناسبها أن تبقى في البيت وتشارك في العمل بأن تعد الطعام وتطبخه وتربطه وتعهده لحمله إلى رسول الله (ﷺ) وصاحبه في الغار" (٤).

فدورها كان مناسباً لسنها. ومشاركة لأختها.

٣- السيدة أم سلمة (رضي الله عنها) (٥):

ولننظر إلى كذلك إلى حال السيدة أم سلمة (رضي الله عنها) فقد حال المشركون بينها وبين

(١) سيرة النبي (ﷺ) لابن إسحاق ١/ ٣٣٨.

(٢) عبدالله بن الزبير بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ابن عم النبي (ﷺ)، وأمه عاتكة بنت أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. لا عقب له، وهو أخو ضباعة بنت الزبير، وكان الزبير أخا عبد الله أبي رسول الله (ﷺ) وأخا أبي طالب لأبيهما وأمهما. وشهد عبد الله قتال الروم في خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وقتل يوم أجنادين شهيدا. [أسد الغابة: ٣/ ١٣٧].

(٣) ينظر: فتح الباري: ٧/ ٣١٠، ٣١١.

(٤) الموسوعة الشريافية د/ أحمد الشرباصي ٤/ ٢١٢.

(٥) أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية أم المؤمنين، وكانت زوج ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة، فمات عنها، فتزوجها النبي (ﷺ) في جمادى الآخرة سنة أربع، وقيل سنة ثلاث، وكانت ممن أسلم قديما هي وزوجها وهاجرا إلى الحبشة، فولدت له سلمة، ثم قدما مكة وهاجرا إلى المدينة، فولدت له عمر، ودره، وزينب، قال الواقدي: ماتت في شوال سنة تسع وخمسين، وقيل: ماتت في آخر سنة إحدى وستين، وهي من آخر أمهات المؤمنين موتا. [الإصابة في تمييز الصحابة: ٨/ ٤٠٤: ٤٠٧].

زوجها والذي هاجر وحده وفرقوا بينها وبين ابنها فكانت تخرج كل غداة<sup>(١)</sup> إلى الأبطح<sup>(٢)</sup> تبكي حتى تمسي نحو سنة فرق لها أحد أقاربها وقال: ألا تخرجون من هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وولدها فقالوا لها: الحقي بزوجك إن شئت فرد أهل زوجها ولدها إليها وهاجرت إلى المدينة<sup>(٣)</sup>.

إنها التضحية والفداء من أجل الدعوة.

٤- السيدة ليلى بنت أبي حثمة رضي الله عنها:

كما شاركت المرأة في هجرة النبي ﷺ وفي نجاحها مضحية في سبيل الدعوة إلى الله ﷻ فإنها قامت بالهجرة بنفسها، ومنهن على سبيل المثال السيدة " ليلى بنت أبي حثمة فهي أول ظعينة قدمت المدينة " <sup>(٤)</sup>.

وبهذا يتبين أن المرأة قامت بدور عظيم في الهجرة النبوية بما يتناسب مع طبيعتها من إعداد الطعام أو توصيله إلى الغار مع ما في ذلك من تعب ومشقة ومخاطرة، وأن المرأة حافظت على سر الهجرة فلم تطلع عليه أحدًا، كما أنها شاركت في الهجرة إلى المدينة استجابة لأمر رسول الله ﷺ وطلبًا لرضا الله ﷻ.

فيجب علينا أن نعرف للمرأة حقها، وأن نوفيها قدرها، وألا نقلل من شأنها في المجتمع، وأن نمكنها من القيام بدورها ونعطيها الفرصة لكي تؤدي ما عليها نحو الأمة والوطن بما يتلاءم مع طبيعتها وفطرتها.

(١) الغداة الضحوة، وهي أول النهار. [تاج العروس: ٣٩ / ١٤٤].

(٢) الأبطح: يضاف إلى مكة وإلى منى، لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان إلى منى أقرب. [معجم البلدان: ١ / ٧٤].

(٣) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ص ٤٠٤.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد، ١/ ٢٢٦، ط: دار صادر - بيروت ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.

## المبحث الثالث

### الدلالات الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة

إن الدارس للهجرة النبوية والمحلل لأحداثها بعناية ليتبين له مدى ما برز في الهجرة النبوية دلائل عدة تتعلق بموضوع الدعوة كان لها الأثر البالغ في نشر الإسلام وتثبيت دعائمه وإرساء قواعده، والتي أفردت لها المطالب التالية:

المطلب الأول: الصبر واليقين طريق النصر والتمكين.

المطلب الثاني: الإسلام دين العمل والنشاط.

المطلب الثالث: الوفاء في الإسلام.

### المطلب الأول

#### الصبر واليقين طريق النصر والتمكين

إن من سنة الله (ﷻ) التي لا تتبدل ولا تتغير أن الصبر واليقين عاقبتهما النصر والتمكين قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١). فالله (ﷻ) ينصر من ينصره. وجرت عادته بأن العاقبة للصابرين. وإنهم هم المنصرون. وهذا تبين من الهجرة النبوية للمدينة المنورة. ومن دلائلها الواضحة الباهرة.

#### مفهوم الصبر واليقين:

أما الصبر: فقد عرفه العلماء بأنه "حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عمّا يقتضيان حبسها عنه" (٢). وعرفه ابن القيم (٣) بأنه "حبس النفس عن الجزع

(١) سورة: الأنعام، آية [٣٤].

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٤٧٤.

(٣) هو الإمام شمس الدين بن قيم الجوزية ولد عام ٦٩١ هـ لازم الإمام ابن تيمية في دمشق بعد عودته من مصر عام ٧١٢ هـ فأخذ عنه علما جما، مع ما سلف له من الاشتغال فصار فريدا في بابه في فنون كثيرة من أشهر مؤلفاته (زاد المعاد في هدى خير العباد - والطرق الحكمية وإغاثة اللهفان وغيرها - توفي عام ٧٥١ هـ) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٧ / ٦٥٧. ط دار الغد العربي - الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش" (١).  
فالصبر هو إمساك النفس وإجامها والتحكم فيها فلا تطغى فتزدي صاحبها.  
أما اليقين: فقد عرف بأنه "الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع وقيل عبارة عن  
العلم المستقر في القلب لثبوته من سبب متعين له بحيث لا يقبل الانهدام" (٢).  
والصبر واليقين هما جناحا الغلبة والفوز والنصر.

### الصبر واليقين في الهجرة النبوية:

إن من يتأمل في الهجرة النبوية إلى المدينة ليجد الصبر واليقين فيها من أولها إلى  
آخرها. فهو ملازم لكل خطوة من خطواتها. وموقف من مواقفها. بل هي سنة مطردة في  
مواقف النبي ﷺ من بداية الدعوة. فمن يتأمل مواقف النبي ﷺ وأصحابه ليجد الصبر  
واليقين هما أبرز العناوين.

لقد كانت الهجرة هذا الحدث الخطير "من أخطر الأحداث في تاريخ الدعوة  
الإسلامية وتاريخ الدولة والأمة على السواء، فقد كان هذا الحدث مفراً كبيراً بين الحق  
والباطل خرج به المهاجرون من وضع الاستضعاف إلى وضع التحرر والتحدي،  
فامتلكوا إرادتهم، وبنوا دولتهم، وأصبحوا قوة مواجهة لقوى الشر الوثنية التي تركوها  
وراءهم في مكة" (٣).

وكانت هجرة المصطفى (ﷺ) من مكة إلى المدينة كما يقول الدكتور محمد البهي:  
"خاتمة لمرحلة كفاح من أجل الحق وهو كلمة الله وحده" (٤).

لقد كانت هجرة النبي ﷺ نقطة فاصلة في تاريخ الدعوة. فلقد اختلف حال المسلمين

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. لابن القيم الجوزية ٢/ ١٥٦. ط دار الكتاب العربي  
- بيروت. ط الثانية، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م. تحقيق: محمد حامد الفقي.

(٢) الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) لأبي البقاء الكفوي ص ١٥٥٥. ط مؤسسة الرسالة -  
بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.

(٣) في ذكرى الهجرة النبوية الشيخ محمد عبد المجيد زيدان ص ٦٥، ٦.

(٤) الإسلام في حياة المسلم د/ محمد البهي ص ٣٩٢.

بعد الهجرة عن حالهم قبلها. فلقد تحول الذل والاستضعاف إلى القوة والعزة. وما ذلك إلا نتيجة للصبر واليقين.

لذلك قال الله (ﷻ) عن هذا الحدث العظيم: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُثُودٍ لَمْ تَرَهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

يقول فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي - رحمه الله - في خواتمه عن هذه الآية: "حين دعاهم الله لينفروا فثاقلوا أو ضح لهم سبحانه: أتظنون أن جهادكم هو الذي سينصر محمداً؟ لا لأن الله - سبحانه - قادر على نصره والدليل على ذلك أن الله قد نصره من قبل في مواطن كثيرة، وأهم موطن هو النصر في الهجرة، وقد نصره برجل واحد هو أبو بكر على قريش وعلى كل كفار مكة" (٢).

والمتدبر في الآية الكريمة يلاحظ في قول الله تعالى الذي جاء على لسان النبي ﷺ: "إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا" يلاحظ كيف كانت ثقة النبي ﷺ في ربه. وكيف كان يقينه. فهو لا يخاف ولا يفزع. لأنه موقن بأن الله معه.

ولقد جاء نصر في الأوقات التي قد يتوهم بعض الناس أنها أوقات انكسار وهزيمة، مع أنها أوقات عز ونصر.

لذلك عندما أراد المسلمون أن يؤرخوا للدولة الإسلامية جعلوا حادث الهجرة هو بداية التاريخ لها يقول الإمام ابن كثير: "اتفق الصحابة - رضي الله عنهم - في سنة ست عشرة - وقيل: سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة - في الدولة العمرية على جعل ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة، وذلك أن أمير المؤمنين عمر (رضي الله عنه) رفع إليه صك -

(١) سورة: التوبة، آية [٤٠].

(٢) تفسير الشعراوي خواتم فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم ٥١٢٤/٨، ط: أخبار اليوم، قطاع الثقافة.

اي حجة - لرجل على آخر وفيه: أنه يحل في شعبان فقال عمر: أي شعبان؟ أشعبان هذا السنة التي نحن فيها، أو السنة الماضية، أو الآتية؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تاريخ يتعرفون به حلول الديون وغير ذلك فقال قائل: أرخوا بتاريخ الفرس فكره ذلك، وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحدًا بعد واحد، وقال قائل: أرخوا بتاريخ الروم وكانوا يؤرخون بملك إسكندر بن فلبس المقدوني<sup>(١)</sup> فكره ذلك، وقال آخرون أرخوا بمولد رسول الله (ﷺ)، وقال آخرون: بل بمبعثه، وقال آخرون: بل بهجرته، وقال آخرون: بل بوفاته (ﷺ)، فمال عمر (ﷺ) إلى التاريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره واتفقوا معه على ذلك " (٢).

وهذا يعد منهم اعتراف بما كان للهجرة من أثر بارز في تاريخ الدولة الإسلامية وما حقته من إعزاز لدين الله - عز وجل - وتمكين له في الأرض.

(١) أحد ملوك الإغريق ومن أشهر القادة العسكريين عبر التاريخ.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٢٠٦/٣.

## المطلب الثاني

### الإسلام دين العمل والنشاط

#### أهمية العمل في الإسلام:

إن الدين الإسلامي يعد العمل سنة من سنن الحياة، وقانوناً من قوانين الوجود، وطريقاً للسعادة في الدنيا والآخرة. فالعمل شرف للعامل. وعمران للأرض. وقيمة للإنسان يدرك بها وجوده وأهميته.

من هذا المنطلق كانت رؤية الإسلام للعمل. فالإسلام "حث على العمل والسعي والنشاط والحركة حتى تشق سنة العمران طريقها في يسر وسهولة وفي وضوح وجلاء. ونادى الإسلام بالعمل، وجعله أفضل القربات إلى الله - تبارك وتعالى - ونظر الإسلام إلى العمل نظرة إيجابية فدعا إلى الجد والإتقان فيه، وأضفى على كل عمل نافع صبغة تعبدية في ظل رقابة تهيء وتوجه نشاط الفرد إلى نفع ذاته، ونفع المجتمع على السواء" (١).

قال الله - تعالى - ﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ (٢)، وقال النبي (ﷺ): «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» (٣).

#### العمل في الهجرة النبوية:

برز العمل واضحاً جلياً منذ بداية استقرار الرسول (ﷺ) في المدينة، فقد كانت هجرته - عليه الصلاة والسلام - "تعني نشأة أول دار إسلام إذ ذاك على وجه الأرض، وقد كان ذلك إيذاناً بظهور الدولة الإسلامية بإشراف منشئها الأول محمد - عليه الصلاة والسلام -.

(١) العمل في الإسلام كتاب يبحث في العمل والعاملين في الشريعة الإسلامية والنظم الوضعية د/ عبده عيسى، د/ أحمد إسماعيل يحيى ص ٣٣، ط: دار المعارف.

(٢) سورة: التوبة، آية [ ١٠٥ ].

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي: ٣٤٩/٧، حديث رقم (٤٣٨٦)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، ط: الأولى ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م.



لذا فقد كان أول عمل قام به الرسول ﷺ أن أقام الأسس الهامة لهذه الدولة" (١).  
وذلك لا بد أن يكون متناسبًا مع من يعيشون في المدينة، فقد واجه رسول الله (ﷺ) في  
المدينة أصنافًا ثلاثة يختلف حال كل واحد منها بالنسبة إلى الآخر اختلافًا بيّنًا، وكان  
(ﷺ) يواجه بالنسبة إلى كل صنف منها مسائل عديدة غير المسائل التي كان يواجهها  
بالنسبة إلى الأخرى، وهذه الأصناف الثلاثة هي: أصحابه الصفوة الكرام البررة رضوان  
الله عليهم، والمشركون الذين لم يؤمنوا بعد وهم من صميم قبائل المدينة، واليهود (٢).  
أولًا: لقد واجه النبي ﷺ العديد من التحديات التي برزت أمامه في المدينة. والتي  
عانى منها أصحابه!. فكان النبي ﷺ نعم السند لهم. فقد كانت المدينة مغايرة لمكة  
حيث "إن ظروف المدينة بالنسبة إليهم كانت تختلف تمامًا عن الظروف التي مروا بها  
في مكة، فهم في مكة وإن كانت تجمعهم كلمة جامعة وكانوا يستهدفون إلى أهداف متفقة  
إلا أنهم كانوا متفرقين في بيوتات شتى مقهورين أذلاء مطرودين لم يكن لهم من الأمر  
شيء، وإنما كان الأمر بيد أعدائهم في الدين، فلم يكن هؤلاء المسلمون يستطيعون أن  
يقيموا مجتمعًا إسلاميًا جديدًا بمواده التي لا يستغني عنها أي مجتمع إنساني في العالم،  
ولذلك نرى السور المكية تقتصر على تفصيل المبادئ الإسلامية، وعلى التشريعات  
التي يمكن العمل بها لكل فرد وحده، وعلى الحث على البر والخير ومكارم الأخلاق،  
والاجتناب عن الرذائل والدنايا" (٣).

أما في المدينة فإن الأمر قد اختلف، فقد صار المسلمين أعزة في مجتمعهم الجديد  
وصار لهم دولة. تحتاج إلى العمل الكثير من كل الجوانب الاقتصادية والسياسية  
والاجتماعية وكذلك إلى العمران. إلى تنظيم ذلك كله. وكذلك تحتاج الدولة إلى تنظيم

(١) فقه السيرة النبوية للبيوطي ص ١٤٢.

(٢) الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام للشيخ صفي الرحمن  
المباركفوري ص ١٥٩، بتصرف، ط: دار المنار الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

(٣) الرحيق المختوم: ص ١٥٩.

علاقتها بأهل المدينة من غير المسلمين. وإلى تنظيم علاقة السلم والحرب بمن حول المسلمين.

ولتحقيق ذلك فعل الرسول (ﷺ) أمران، وهما: بناء المسجد، والمواخاة بين المهاجرين والأنصار.

أما الأمر الأول: بناء المسجد؛ ذلك لأنه أساس الدولة الإسلامية ومقر القيادة الحقيقي لها، ولم يبن الرسول (ﷺ) متجرًا أو مصنعًا؛ لأن المسجد هو أساس العقيدة وأساس الحكم (١).

فمن المسجد تنطلق السرايا والبعوث. وفي المسجد تعقد الاجتماعات والمشاورات. وفي المسجد تستقبل الوفود وتنطلق التشريعات والتعليمات. لذا كان أول شيء يفعله الرسول ﷺ بعد هجرته فأول ما قدم رسول الله (ﷺ) المدينة ونزل بها أسس مسجد قباء وعمل فيه بنفسه فقد روى الطبراني (٢) عن الشموس بنت النعمان (٣) - رضي الله عنها -، قالت: نظرت إلى رسول الله (ﷺ) حين قدم، ونزل وأسس هذا المسجد، مسجد قباء، فرأيتنه يأخذ الحجر - أو الصخرة - حتى يهصره الحجر (٤)، وأنظر إلى بياض التراب على بطنه وسرته، فيأتي الرجل من أصحابه ويقول: بأبي وأمي يا رسول الله، أعطني أكفك، فيقول: «لا خذ حجرا مثله» حتى أسسه (٥).

- (١) المهاجرون إلى الله: د/ أحمد عبده عوض ص ٢٧. ط مركز الكتاب لنشر سلسلة لقاء الإيمان ٢٠١٢م.
- (٢) الطبراني هو: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم: من كبار المحدثين. أصله من طبرية الشام، وإليها نسبته. ولد بعكا، ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة، وتوفي بأصبهان. له ثلاثة (معاجم) في الحديث، منها (المعجم الصغير). وله كتب في (التفسير) و (الأوائل) و (دلائل النبوة) وغير ذلك، توفي سنة ٣٦٠هـ. [الأعلام للزركلي: ٣/ ١٢١].
- (٣) الشموس بنت النعمان بن عامر بن مجمع الأنصارية، حضرت مع النبي (ﷺ) حين أسس مسجد قباء، وكانت من المبايعات. [أسد الغابة: ٦/ ١٦٥].
- (٤) يهصره: هصر: الهصر: الكسر. هصر الشيء يهصره هصرًا: جبهه وأماله. [لسان العرب: ٥/ ٢٦٤].
- (٥) المعجم الكبير للطبراني: ٣١٨/ ٢٤، حديث رقم (٣٠٢)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: الثانية.

وفيه نزل قول الله - تبارك وتعالى - : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ (١).  
ولما نزل (ﷺ) في بني النجار بركت به ناقته في مكان مسجده وكان مربدًا (٢) لغلامين يتيمين فابتاعه منهما واتخذ مسجداً (٣).

فبعد بناء مسجد قباء جاء الدور على مركز القيادة للمجتمع الجديد وهو مسجده (ﷺ).  
فبدأ النبي على الفور في إعداده. وهم في غاية الفرح والسرور.  
ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أنه (ﷺ) " أرسل إلى ملاً من بني النجار فقال: يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا، قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، فقال أنس: فكان فيه ما أقول لكم قبور المشركين وفيه خرب وفيه نخل، فأمر النبي (ﷺ) بقبور المشركين فنبشت، ثم بالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، فصفوا النخل قبله المسجد، وجعلوا عضادتيه حجارة وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون والنبي (ﷺ) معهم " (٤).

حتى تم بناء المسجد النبوي وأصبح المسلمون يلتفون حوله من كل صوب. ويقصدونه من كل اتجاه. هجرة إلى الله وإلى نبيه (ﷺ). وصار المسلمون بعد العذاب " أحرارًا في مزاولة الشعائر الإسلامية، كما صاروا قادرين على تطبيق أحكام الدين وتعاليمه، وقد أنزلت على النبي في المدينة جميع التشريعات التي تحتاج إليها الدولة

(١) سورة: التوبة، آية [ ١٠٨ ].

(٢) المربرد: كل شيء حبست به الإبل والغنم ولهذا قيل مربرد النعم الذي بالمدينة. (و المربرد: (الجرين) الذي يوضع فيه التمر بعد الجداد ليبيس، وأهل المدينة يسمون الموضع الذي يجفف فيه التمر لينشف: مریدا. [تاج العروس: ٨ / ٨٢].

(٣) ينظر: السيرة النبوية لابن كثير تحقيق د/ مصطفى عبد الواحد ٢/ ٢٦٧ - ٢٦٨، ط: دار المعرفة - بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الصلاة، باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية: ١/ ٩٣، رقم حديث رقم (٤٢٨).

الإسلامية الجديدة.

نزل في المدينة أحكام القتال والجهاد وآيات الصيام والوصية وآيات الربا والدين والخمر والطلاق والنكاح والرضاعة والمتعة، وغير ذلك من آيات التشريعات الشرعية" (١). وقام المسجد بدوره خير قيام.

أما الأمر الثاني: فهو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. ذلك الرباط الذي يشد لبنات ذلك المجتمع الجديد بعضها إلى بعض. ويصنع منها بناء شامخًا متماسكًا. ومن ثم فإن النبي (ﷺ) "أخى بين المهاجرين بعضهم لبعض، وأخى بين المهاجرين والأنصار آخى بينهم على الحق والمواساة ويتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام وكانوا تسعين رجلًا: خمسة وأربعون من المهاجرين وخمسة وأربعون من الأنصار، ويقال: كانوا مائة: خمسون من المهاجرين وخمسون من الأنصار، وكان ذلك قبل بدر، فلما كانت وقعة بدر وأنزل الله ﷻ ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢) فنسخت هذه الآية ما كان قبلها، وانقطعت المؤاخاة في الميراث ورجع كل إنسان إلى نسبه وورثه ذوو رحمته" (٣).

فلننظر إلى ذلك العمل الجليل الذي فعله الرسول ﷺ حيث جعل المهاجرين والأنصار أخوة متحابين لدرجة التوارث بينهما. وبذلك أصبحت المدينة القاعدة التي ينطلق منها الرسول (ﷺ) وأصحابه لنشر الدعوة إلى جميع أرجاء الدنيا.

ثانيًا: أما عن المسائل التي كان يواجهها النبي (ﷺ) بالنسبة للمشركين الذين لم يؤمنوا بعد من قبائل المدينة، فإن النبي (ﷺ) قد أمن جانبهم؛ لأنهم لم تكن لهم "سيطرة على المسلمين، وكان منهم من تخالجه الشكوك ويتردد في ترك دين الآباء، ولكن

(١) في رحاب الإسلام الشيخ محمد سيد أحمد الأقرع ص ١٥٧، دار البشير ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م.

(٢) سورة: الأنفال، آية [٧٥].

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٣٨.

لم يكن يبطن العداوة والكيد ضد الإسلام والمسلمين، ولم تمض عليهم مدة طويلة حتى أسلموا وأخلصوا دينهم لله.

وكان فيهم من يبطن شديد الإحن<sup>(١)</sup> والعداوة ضد رسول الله (ﷺ) والمسلمين ولكن لم يكن يستطيع أن يناوئهم بل كان مضطراً إلى إظهار الود والصفاء نظراً إلى الظروف وعلى رأس هؤلاء عبد الله بن أبي<sup>(٢)</sup>.

وقد عاملهم النبي (ﷺ) حسب ما أظهروا من الود والصفاء وألان لهم جانبه.

ثالثاً: أما عن اليهود الذين كانوا أقرب السكان إلى المدينة من غير المسلمين فإن النبي (ﷺ) أراد أن يجع المدينة وحدة واحدة وشوكة في وجه أي عدو يريد لها. ومن أجل هذا التماسك عقد المعاهدات "وأقرب من كان يجاور المدينة من غير المسلمين هم اليهود... وهم وإن كانوا يبطنون العداوة للمسلمين لكن لم يكونوا أظهروا أية مقاومة أو خصومة بعد، فعقد معهم رسول الله (ﷺ) معاهدة ترك لهم مطلق الحرية في الدين والمال ولم يتجه إلى سياسة الإبعاد أو المصادرة أو الخصام"<sup>(٣)</sup>.

وبإبرام هذه المعاهدة: أمن النبي (ﷺ) الجبهة الداخلية للمدينة من أي اعتداء خارجي، وبذلك أصبحت المدينة عاصمة الدولة الإسلامية.

وبذلك يكون من أول الأعمال التي قام بها النبي (ﷺ) في المدينة أنه أقام الأسس التي يقوم عليها المجتمع، فبنى المسجد وأخى بين المهاجرين والأنصار، وعقد معاهدة مع اليهود تضمن سلامة المجتمع وحفظه، وبذلك تمكن النبي (ﷺ) من أداء رسالته ونشر دعوته وإعلاء كلمة الله (ﷻ).

(١) الإحن: الحقد في الصدر. [لسان العرب: ١٣ / ٨].

(٢) الرحيق المختوم ص ١٦١ باختصار يسير.

(٣) الرحيق المختوم ص ١٧٣.

### المطلب الثالث

#### الوفاء في الإسلام

من الدلالات الدعوية التي ظهرت في موضوع الدعوة خلق الوفاء في الإسلام ذلك الخلق الكريم الذي حث عليه الإسلام، وتجلّى بصورة جلية في حادث الهجرة النبوية مع الوطن والصاحب ومن كان له عهد أو قدم ولو خدمة يسيرة للنبي (ﷺ) وصاحبه في هذا الحادث العظيم.

#### معنى الوفاء:

والوفاء ذلك المعنى الجليل عرف بأنه " هو ملازمة طريق المواساة، ومحافظة عهود الخلطاء" (١). وقيل هو " هو الصّبر على ما يبذله الإنسان من نفسه ويرهنه به لسانه" (٢). وضد الوفاء الغدر.

#### الوفاء في الهجرة النبوية:

لقد برز واضحاً جانب الوفاء في الهجرة النبوية. وضرب فيه النبي (ﷺ) المثل الأعلى. وهذه نماذج للوفاء في تلك الرحلة المباركة. فما قدم أحد إحساناً للنبي (ﷺ) أو مساعدة في الهجرة إلا ووفى له النبي وأكرمه بما قدم. حتى بلده مكة وفي لها. وفيما يلي عرض لأهم هذه النماذج:

١- وفاء النبي لبلده مكة: مكة البلد الذي ولد فيه النبي (ﷺ) وتربى وعاش. والنبي (ﷺ) إذا كان " قد ترك داره ووطنه في سبيل دينه ودعوته فليس معنى هذا أنه تنكر لهذا الوطن أو نسي حقه، واستهان بمكانته معاذ الله، فإن الرجل الأصيل وإن اغترب يظل حافظاً عهد بلاده، ذاكرًا حقوق وطنه، فرب مغترب عن وطنه طوعاً أو كرهاً يحب هذا الوطن أكثر من أناس يقيمون فيه ويرتعون في واديه، ومع ذلك لا يحفظون حقه، ولا يصونون كرامته.

(١) التعريفات للشريف الجرجاني ص ٢٥٣. ط دار الكتب العلمية. بروت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

(٢) تهذيب الأخلاق للجاحظ ص ٢٤. دار الصحابة. ط الأولى ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.

وهذا رسول الله يخرج من مكة مهاجرًا مرغماً وما يكاد يبلغ ظاهر مكة حتى يلتفت إليها في حنين عارم، وشوق قاهر، وحب عميق، ويناجيها قائلاً: " ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك" (١). وفي رواية أخرى: " عَلِمْتُ أَنَّكَ خَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ الْأَرْضِ إِلَيَّ وَاللَّهُ وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكَ أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا خَرَجْتُ" (٢)

وكان النبي (ﷺ) كلما ازداد به وبأصحابه الشوق إلى مكة يدعو ربه قائلاً: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد...» (٣)، وذلك لتخف حدة الشوق، ولقد عبر القرآن الكريم عن شوقه (ﷺ) إلى مكة وتعلقه بها وعن تल्पف الله عز وجل به في هذا المجال فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَيَّ مَعَادٍ ﴾ (٤).

وكان مما يدل على حنينه (ﷺ) إلى مكة أنه كان يتجه في صلاته إلى بيت المقدس وكان في نفسه يحب التوجه إلى الكعبة في مكة، فجعل يقلب وجهه في السماء راجياً أن يوجهه ربه إلى الكعبة، وفي ذلك دليل على تقدير الوطن والحب له من الرسول الأكرم (ﷺ) (٥). وظل النبي (ﷺ) وفيًا لبلده مكة دائم الحنين إليها ومما يدل على ذلك ما روته السيدة عائشة (رضي الله عنها) " أنها سألت في حضرة رسول الله (ﷺ) رجلاً قدم من مكة إلى المدينة فقالت له: كيف تركت مكة؟ فذكر من أوصافها الحسننة ما غرغرت منه عينا رسول الله

(١) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام الترمذي - في سننه كتاب المناقب. باب فضل مكة ٧٢٣/٥. حديث رقم (٣٩٢٦). قال الالباني: صحيح. انظر (تحقيق الألباني لمشكاة المصابيح لعبد الله التبريزي ص ١١٥/٢. ط المكتب الإسلامي. بيروت. ط الثالثة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م).

(٢) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد - في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ١٣/٣١. ط دار الرسالة. بيروت. ط الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م. قال شعيب الأرنؤوط محققه: حديث صحيح على وهم في إسناده.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: فضائل المدينة، باب: كراهية النبي (ﷺ) أن تعرى المدينة: ٢٣/٣، حديث رقم (١٨٨٩).

(٤) سورة: القصص، آية [ ٨٥ ].

(٥) ينظر: الموسوعة الشرباصية ١٩٣/٤.

(ﷺ) وقال: "لا تشوقنا يا فلان" وفي رواية: "دع القلوب تفر" (١).

ولقد تم له (ﷺ) أن يعود إلى مكة بعد بضع سنوات بفضل الله (ﷻ) بعد أن أقام صرح الدين في دولة المدينة إلى وطنه الذي أخرج منه عزيز الجانب منيع القوة، ولم يستطع أحد من أولئك الذين تربصوا به ولا حقوه بقصد القتل أن يمسه بسوء (٢). ومع ذلك فقد كان النبي مثلاً في العفو والصفح. فعفى عنهم وأطلقهم فدخلوا في دين الله أفواجاً.

٢- وفاء النبي لسراقة بن مالك ﷺ: وبرز جانب الوفاء مع سراقة بن مالك الذي حاول اللحاق برسول الله (ﷺ) في هجرته ليظفر بالجائزة التي جعلتها قريش لمن يدلهم على محمد ﷺ وصاحبه، وكان قد لحق بالنبي ﷺ "فدعا عليه رسول الله فساخت يدا فرسه في الأرض فقال: قد علمت أن الذي أصابني بدعائكما فادعوا الله ولكما على أن أرد الناس عنكما، فدعا له رسول الله (ﷺ) فأطلق، وسأل رسول الله (ﷺ) أن يكتب له كتاباً فكتب له أبو بكر بأمره في أديم... وعرض عليهما الزاد والحملان فقالا: لا حاجة لنا به ولكن عم عنا الطلب فقال: قد كفيتم، ورجع فوجد الناس في الطلب فجعل يقول: قد استبرأت لكم الخبر وقد كفيتم ما هاهنا، وكان أول النهار جاهداً عليهما وآخره حارساً لهما" (٣).

فلم ينس النبي ﷺ ذلك لسراقة ووفى له بالأمان الذي أعطاه إياه عند فتح مكة يقول سراقة ﷺ: "حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله ﷺ وفرغ من حنين والطائف خرجت لألقاه ومعى الكتاب الذي كتب لي، فلقيته بالجعرانة (٤) قال: فبينما أنا عامد له دخلت بين

(١) السيرة الحلبية، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي ١١٧/٢، ط دار الكتب العلمية. بيروت، ط الثانية ١٤٢٧ هـ.

(٢) ينظر: فقه السيرة للبوطي ص ١٣٦.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية ٤٥/٣. ط مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت. ط الرابعة عشرة ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط. بتصرف واختصار.

(٤) الجِعْرَانَةُ: ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب. [معجم البلدان: ١٤٢/٢].



ظهري كتيبة من كتائب الأنصار، فطفقوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك إليك حتى إذا دنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته والله لكأني أنظر إلى ساقه في غرزه كأنها جمارة<sup>(١)</sup> قال: فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت: يا رسول الله هذا كتابك لي وأنا سراقه بن مالك قال: فقال رسول الله ﷺ: "يوم وفاء وبر ادنه" فدنوت منه فأسلمت"<sup>(٢)</sup>.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نذكر وعد النبي (ﷺ) لسراقه بأنه سيلبس سوارى<sup>(٣)</sup> كسرى، وتحققت هذه البشارة في عهد سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ويوفي به له، فقد روي "أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أتى بفروة كسرى فوضعت بين يديه، وفي القوم سراقه بن مالك بن جعشم فألقى إليه سوارى كسرى بن هرمز فجعلها في يده فبلغا منكبيه، فلما رأهما في يدي سراقه قال: الحمد لله سوارى كسرى بن هرمز في يد سراقه بن مالك بن جعشم أعرابي من بني مدلج"<sup>(٤)</sup>.

إن قصة سراقه بن مالك لمثل أعلى في الوفاء والبر.

٣- أم معبد<sup>(٥)</sup> ووفاء النبي ﷺ لها: أيضا من الدلالات الدعوية على الوفاء في الهجرة النبوية ما وفي به النبي ﷺ لأم معبد.. فقد مر عليها النبي (ﷺ) في طريق هجرته وطلب منها القرى، وقصبتها معروفة، فلما قدمت المدينة وكانت تسمى الرسول (ﷺ) المبارك وكانت "كثرت غنمها حتى جلبت حلبًا إلى المدينة فمر أبو بكر (رضي الله عنه) فرآه ابنها فعرفه

(١) الجمارة: قلب النخلة وشحمتها، شبه ساقه (ﷺ) ببياضها. [لسان العرب: ٤/ ١٤٧].

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للشامي ٣/ ٢٤٩، ٢٤٨، والحديث أورده الطبراني في المعجم الكبير ٧/ ١٣٣، حديث رقم (٦٦٠٢)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: الثانية.

(٣) السوار من الحلبي: معروف. والمسور: موضع السوار كالمخدم لموضع الخدمة. [لسان العرب: ٤/ ٣٨٨].

(٤) البداية والنهاية للامام ابن كثير: ٢٢/ ٢٠٣، حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.

(٥) أم معبد الخزاعية: التي نزل عليها النبي (ﷺ) لما هاجر، مشهورة بكنيتها، واسمها عاتكة بنت خالد. [الإصابة في تمييز الصحابة: ٨/ ٤٧٥].

فقال: يا أمه إن هذا الرجل كان مع المبارك قامت إليه فقالت: يا عبد الله من الرجل الذي كان معك؟ قال: وما تدرين؟ قالت: لا قال: هو نبي الله (ﷺ) قالت فأدخلني عليه قال: فأدخلها فأطعمها وأعطها، وفي رواية فأهدت إليه شيئاً من أقط<sup>(١)</sup> ومتاع الأعراب فكساها وأعطها، قال: ولا أعلمه إلا قال: وأسلمت<sup>(٢)</sup>. وهكذا يكون الوفاء والبر.

٤- أبو بكر الصديق (رضي الله عنه): أما سيدنا أبو بكر (رضي الله عنه) فلم ينس له رسول الله (ﷺ) حسن صحبته، ولم يفته (ﷺ) أن ينوه بهذه الصحبة، وأن يعلي من شأنها. فقد حدث ذات يوم خلاف بين عمر وأبي بكر، واغتم أبو بكر بسبب هذا الخلاف حتى أقبل على مجلس النبي حزينا كئيبا، ولما عرف الرسول الموقف انتهزها فرصة لينوه بصداقة أبي بكر ومكانته فقال: "إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي"<sup>(٣)</sup>.

فالنبي (ﷺ) يقدر دور أبي بكر (رضي الله عنه) في خدمة الدعوة. ومواساته للنبي (ﷺ) بماله ونفسه في الهجرة وغيرها. وهو ما نوه به النبي (ﷺ) في قوله: "مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْتَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِيهِ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا نَفَعَنِي مَالٌ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا أَلَا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ"<sup>(٤)</sup>.

٥- وفاء النبي (ﷺ) مع الأنصار: أما عن وفائه (ﷺ) مع الأنصار. هؤلاء الذين ناصروا الدعوة بأرواحهم وأموالهم. لم ينس لهم النبي (ﷺ) مواقفهم. فقد حدث أن النبي حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو الله، وقد أهدت به الأنصار فقالوا فيما بينهم: أترون رسول الله (ﷺ) إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟ فلما فرغ من دعائه قال: "ماذا

(١) الأقط: شيء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمتص. [لسان العرب: ٧ / ٢٥٧].

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للشامي ٣ / ٢٤٧.

(٣) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل أصحاب النبي، باب: منه: ٥ / ٥، حديث رقم (٣٦٦١).

(٤) سنن الترمذي، أبواب: المناقب عن رسول الله (ﷺ)، باب: منه: ٦ / ٤٢، حديث رقم (٣٦٦١). وقال: حديث حسن غريب.

قلتم؟ " قالوا: لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبي (ﷺ) معاذ الله! المحيا محياكم والممات مماتكم" (١).

ومن وفائه (ﷺ) للأنصار ما روى عن أنس أن النبي (ﷺ) خَرَجَ يَوْمًا عَاصِبًا رَأْسُهُ فَتَلَقَّاهُ ذَرَارِيُّ الْأَنْصَارِ وَخَدَمُهُمْ مَا هُمْ بِوُجُوهِ الْأَنْصَارِ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لِأُحِبُّكُمْ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْأَنْصَارَ قَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي عَلَيْكُمْ فَأَحْسِنُوا إِلَيَّ مُحْسِنِينَ وَتَجَاوَزُوا عَنِّي مُسِيئِينَ» (٢).

وبهذا يتبين أن الإنسان عليه أن يكون وفيًا لموطنه الذي نشأ فيه وإن لم يجد فيه المعاملة الطيبة، أو تعرض فيه لأي نوع من أنواع الأذى والهوان، وأن يظل حافظًا للعهد باقيًا على الود، ولا ينسى من يقف معه في أيام المحنة أو يتنكر لمن قدم له يوما يد العون والمساعدة.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ص ٩٤٠.

(٢) السنن الكبرى للنسائي، كتاب: المناقب، باب: حب النبي (ﷺ) الأنصار: ٣٧٩/٧، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

---

## المبحث الرابع

### الدلالات الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب الدعوية

تتجلى في حادث الهجرة النبوية بعض الدلالات الدعوية التي تتعلق بالوسائل والأساليب الدعوية التي استخدمها النبي (ﷺ) في الإعداد للهجرة والقيام بها، وكان لها الأثر البالغ في نجاحها وتمثل هذه الدلالات في المطالب الآتية:

المطلب الأول: ضرورة التنويع والتجديد في العمل الدعوي.

المطلب الثاني: الإعداد الجيد في ميدان الدعوة.

المطلب الثالث: ضرورة الإفادة من الوسائل المتاحة.

## المطلب الأول

### ضرورة التنوع والتجديد في العمل الدعوي

من الأمور المهمة في القيام بالدعوة الإسلامية أن ينوع الداعية في الطريقة التي يستخدمها مع الناس، ويجدد في العمل الذي يقوم به لتبليغ رسالة الله (ﷻ)، ذلك أن وسائل الدعوة متجددة مع الزمان والمكان. ومتنوعة منها ما يناسب بيئات معينة ومنها ما لا يناسب هذه البيئات. فقد تكون وسيلة ما أو أسلوب ما نافعًا ويؤتي أكله. فإذا استخدم الأوب واستخدمت الوسيلة مع اناس آخرين أتت بعكس ما يريه الداعية. لذلك وجب على الداعية ملاحظة ما هو أنسب للمدعوين.

فعلى الداعية إذا أراد النجاح في دعوته أن يجدد في أساليبه. وأن ينوع في وسائله "ذلك أن التنوع في الاحتجاج والتفنن في أساليبه من ضروريات الدعوة إلى الدين وإلى غير الدين من المقاصد البشرية أيضا لأن التزام دليل واحد على المطلوب الذي لا بد من تكرار ذكره، أو إيراد عدة أدلة بأسلوب واحد قد يفضي إلى سامة الداعي من التكرار على رغبته في الدعوة وتفانيه في نشرها وإثباتها"<sup>(١)</sup>.

وظل رسول الله (ﷺ) في مكة منذ أن أمره الله (ﷻ) بالجهر بالدعوة إلى الإسلام عشر سنين يوافي الموسم كل عام يتبع الحاج في منازلهم وفي أماكن تجمعهم بعكاظ<sup>(٢)</sup> ومجنة<sup>(٣)</sup> وذي المجاز<sup>(٤)</sup>، يدعوهم إلى أن يتبعوه ويمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة فلا يجد أحداً ينصره أو يجيبه حتى إنه (ﷺ) ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة

(١) تفسير المنار. الشيخ رشيد رضا/٧/٢٧١. ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٠م.

(٢) عكاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ في كل سنة ويتفخرون فيها ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون. [معجم البلدان: ٤/١٤٢].

(٣) مجنة: اسم سوق للعرب كان في الجاهلية وكان ذو المجاز ومجنة وعكاظ أسواقا في الجاهلية. [معجم البلدان: ٥/٥٨].

(٤) ذو المجاز: موضع سوق بعرفة. [معجم البلدان: ٥/٥٥].

فيأتيهم ويقول لهم: " يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم فإذا آمنتم كنتم ملوكًا في الجنة " وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه فإنه صابئ كذاب فيردون على رسول الله (ﷺ) أقبح الرد ويؤذونه ويقولون: أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك (١).

وكان (ﷺ) وقد كان النبي (ﷺ) ينوع في خطابه للناس، وكان (ﷺ) ينوع في وسائل دعوة الناس. وينوع في أساليبه يعامل الناس بتربوية عالية، وبحسب ما ينفعهم فيما يقصدون وما يتجهون، ويخاطب كلاً بطريقة تلائمهم فمن يجادل جادله بالحسنى، ومن يجهل رده عن جهله بما يناسبه.

ومما يثير الدهشة والاستغراب أن يستعمل الرسول (ﷺ) الرياضة وسيلة من وسائل الدعوة وقد يدهش بعضنا إذا علم أن الرسول الهادي للناس يستعمل الرياضة والمصارعة الجسمية طريقًا من طرق الدعوة، وأي خطيب قد يسلك هذا المسلك؟ إن الداعية إلى الله قد يظن نفسه مقصورًا على الحديث عن مبدئه الذي يدعو الناس إليه، وأن عليه أن يأخذ سمًا معينًا يتعد به عن كل الأعمال الأخرى غير الدعوة والقيام بأعماله المعروفة، لكنه لو اقتدى بالرسول الكريم عرف أنه لم يترك سبيلًا من سبل الإقناع إلا سلكه، وقد يعرف أن سبيل إقناع شخص ما يقوم على توجيه معين فيسلك هذا الطريق ليصل إليه.

وقد يعرف أن فلانًا ينفع معه - في جذبه إلى الدعوة - أن يلعب معه لعبة رياضية فلا يتأخر عنها.

هذا ركانة بن عبد يزيد بن هاشم المطلبي (٢) من أشداء قريش خلا يومًا برسول الله في

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/ ٣٨.

(٢) ركانة بن يزيد بن هاشم بن المطلبي بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي، كان من مسلمة الفتح، وكان من أشد الناس، وتوفي ركانة في أول خلافة معاوية سنة اثنتين وأربعين. [الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر: ٢/ ٥٠٧، المحقق: علي محمد الجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط: الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م].

بعض شعاب مكة فقال له رسول الله (ﷺ): " يا ركانه ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه " فقال ركانة: إني لو أعلم أن الذي تقول حق لا تبعثك.

فقال له رسول الله (ﷺ) " أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق؟ " قال: نعم. قال: " فقم حتى أصارعك " فقام إليه ركانة يصارعه فلما بطش به رسول الله (ﷺ) أضجعه وهو لا يملك من نفسه شيئاً، ثم قال له ركانة: عديا محمد فعاد فصرعه فقال ركانة: يا محمد والله إن هذا للعجب أتصرعني؟ فقال رسول الله (ﷺ) وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه إن اتقيت الله واتبعته أمري" (١).

وقد أراه النبي (ﷺ) بعض المعجزات فلما ذهب ركانة إلى قومه بني عبد مناف أخبرهم بالذي رأى والذي صنع (٢).

ومن تنويعه (ﷺ) في الدعوة إقامته ﷺ وسط المدعوين. يدعوهم وينوع لهم أساليب القول والمخاطبة. فقد خرج النبي ﷺ إلى الطائف وأقام فيهم " عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرفهم إلا جاءه وكلمه، فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم فقالوا: يا محمد اخرج من بلدنا والحق بمجانبك من الأرض، وأغروا به سفهاءهم فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى إن رجلي رسول الله (ﷺ) لتدميان وزيد بن حارثة (٣) يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاج فانصرف رسول الله (ﷺ) من الطائف راجعاً إلى مكة وهو محزون لم

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/٣٩١. ط مصطفى الباي الحلبي. ط الثانية ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م. والقصة لها أصل في سنن الترمذي كتاب اللباس. باب العمائم على القلانيس.

(٢) انظر: أسعد خلق الله: محمد خاتم النبيين ص ٥٨، ٥٩.

(٣) زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس، وهو مولى رسول الله (ﷺ)، أشهر مواليه، وهو حب رسول الله (ﷺ)، أصابه سب في الجاهلية لأن أمه خرجت به تزور قومها بني معن، فأغارت عليهم خيل بني القين بن جسر، فأخذوا زيدا، فقدموا به سوق عكاظ، فاشتره حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد، وقيل: اشتراه من سوق حباشة، فوهبته خديجة للنبي (ﷺ) بمكة قبل النبوة وهو ابن ثماني سنين، قتل زيد في مؤتة من أرض الشام في جمادى من سنة ثمان من الهجرة. [أسد الغابة:

١٢٩/٢: ١٣١].

يستجيب له رجل واحد ولا امرأة" (١).

ومع ذلك لم ييأس النبي (ﷺ) وأخذ يعرض نفسه على القبائل الأخرى في موسم الحج عله يجد من يؤمن وينصر الدين فكان النبي ﷺ ويرفع صوته "ويشرح لهم الإسلام ويطلب منهم الإيواء والنصرة، فعرض نفسه على كندة ثم أتى كلبًا، ثم بني حنيفة، ثم بني عامر، وجعل (ﷺ) يقول: " من رجل يحملني إلى قومه فيمنعني حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي؟ " (٢).

وشاءت إرادة الله (ﷻ) أن يلتقي النبي (ﷺ) بالخزرج، وذلك في السنة الحادية عشر من النبوة، وكان (ﷺ) خرج " في الموسم يعرض نفسه على القبائل، كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة (٣) لقي رهطاً (٤) من الخزرج فقال: " من أنتم؟ " قالوا: من الخزرج قال: " أفلا تجلسون أكلمكم؟ " قالوا: بلى فجلسوا معه فدعاهم إلى الله (ﷻ) وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، وكان أولئك يسمعون من اليهود أنه قد أظل زمان نبي يبعث فلما كلمهم قال بعضهم لبعض: والله إنه النبي الذي يعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه فأجابوه وانصرفوا راجعين إلى بلادهم وكانوا ستة (٥).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢١٢.

(٢) ينظر: الهجرة سنة الحياة د/ حسين عبد المنعم برعي ٣/١٢٨. الناشر المكتبة الأكاديمية بالدقي - القاهرة عام ٢٠١٣.

والحديث: أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب: تواريخ الأنبياء المتقدمين. باب ذكر نبي الله وروحه عيسى ٢٣/٦٩٦. وأحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله ٢٣/٣٧٠. قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

(٣) العقبة: بالتحريك، وهو الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه، وهو طويل صعب إلى صعود الجبل، والعقبة: منزل في طريق مكة بعد واقصة. [معجم البلدان: ٤/١٣٤].

(٤) الرهط: رهط الرجل: قومه وقبيلته. يقال: هم رهطه ذنية. والرهط: عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة، وبعض يقول من سبعة إلى عشرة، وما دون السبعة إلى الثلاثة نفر، وقيل: الرهط ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة. [لسان العرب: ٧/٣٠٥].

(٥) المنتظم في تواريخ الملوك والأمم للإمام الجوزي تحقيق أد/ سهيل زكار ٢/٥٩٨، ط: دار الفكر - بيروت - الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.



فلننظر إلى أساليب النبي ﷺ وهو ينوع في المخاطبة. يتلو عليهم القرآن مرة. ويحدثهم عن الإسلام تارة أخرى. ويعددهم بالنصر والتمكين إن هم نصرُوا الإسلام وأيدوه.

ولما كان العام المقبل " من العام الذي لقي فيه رسول الله (ﷺ) النفر الستة لقيه اثنا عشر رجلاً بعد ذلك بعام وهي بيعة العقبة الأولى... فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء على ألا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف قال: فإن وفيتم فلکم الجنة، ومن غشى من ذلك شيئاً كان أمره إلى اله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه "(١).

وقد نوع النبي أيضاً هنا في وسائل الدعوة. وجدد في أساليبه. ذلك لأنهم أصبحوا مسلمين. ومن ثم جاء الأمر والنهي والتبشير والإنذار.

ولما انصرفوا من مكة راجعين إلى بلادهم بعث معهم رسول الله (ﷺ) مصعب بن عمير (٢) إلى المدينة يفقه أهلها ويقرئهم القرآن (٣).

وفي العام التالي لتلك البيعة " خرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله (ﷺ) العقبة من أواسط أيام التشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته والنصر لنبیه وإعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله "(٤).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢٢٠ باختصار.

(٢) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب العبدري، أحد السابقين إلى الإسلام، يكنى أبا عبد الله. أسلم قديماً والنبي (ﷺ) في دار الأرقم، وكنم إسلامه خوفاً من أمه وقومه، فعلمه عثمان بن طلحة، فأعلم أهله فأوثقوه، فلم يزل محبوساً إلى أن هرب مع من هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة فهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا، ثم شهد أحدًا ومعه اللواء فاستشهد. [الإصابة في تمييز الصحابة: ٦/ ٩٨].

(٣) ينظر: المنتظم في تواريخ الملوك والأمم ٢/ ٦٠٦.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ص ٣٧٩، ٣٨٠.

---

ثم إن النبي (ﷺ) بعد أن هاجر إلى المدينة " كان يرسل جماعات من أصحابه الذين علموا علم الإسلام وفقهوا أحكامه إلى الأقسام يهدونهم ويعلمونهم، وفيهم من كان يطلب فقهاء في الإسلام ليعلموهم، فكان النبي (ﷺ) يرسل لهم، ومن الأعراب من كان يغدر بهم وينافق في دعوتهم إلى التفقه وهم يبيتون الشر كما قتلوا غدراً ستة من المؤمنين الصادقين، وكما قتلوا سبعين قتلة فاجرة، ولكن النبي (ﷺ) كان يريد نشر الدعوة، وما كان يعلم ما تكنه القلوب "(١).

وهكذا يكون الداعية حريصاً على هداية الناس ونشر تعاليم الدين، منوعاً في أساليب ووسائل دعوته ومجدداً لها، غير واقف بها عند حد معين ولا أناس معينين.

---

(١) الدعوة الإسلامية تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن للشيخ/ محمد أبو زهرة ص ٢٠، ط: دار الفكر العربي - الأولى ١٩٧٣ م.

## المطلب الثاني

### الإعداد الجيد في ميدان الدعوة

لم تكن هجرة النبي (ﷺ) من مكة إلى المدينة أمرًا عشوائيًا، ولا حدثًا مفاجئًا لم يكن قد تم الإعداد والترتيب له، فقد أعد له الرسول - عليه الصلاة والسلام - غاية الاستعداد، وكان ذلك في جانبين:

#### الجانب الأول: إعداد المؤمنين في مكة:

لقد كان المؤمنون في مكة هم الغرس الأول في الإسلام. وهم البذور التي وضعت في تربة الإيمان. فخرجت صلبة لا تثنيها ريح ولا يصددها حاجز. وما زادهم ما لاقوه من المشركين إلا صلابة وصبرًا. فرباهم النبي على عينه. وعلمهم العقيدة والتضحية في سبيل الدين. فقد اقتضت الحكمة الإلهية أن تتميز الفترة المكية "بالتربية على معاني الإسلام، وفقه أصوله العظيمة التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية"<sup>(١)</sup>.

لقد كان النبي ﷺ في مكة يربي هذا الجيل الذي سيفتح الدنيا. ويزلزل الكفر والشرك في العالم. ولم يزل رسول الله (ﷺ) يغذي أرواح أصحابه "برغائب الإيمان، ويذكي نفوسهم بتعليم الحكمة والقرآن، ويربيهم تربية دقيقة عميقة، يحدو بنفوسهم إلى منازل سمو الروح، ونقاء القلب، ونظافة الخلق، والتحرر من سلطات الماديات، والمقاومة للشهوات، والنزوع إلى رب الأرض والسموات، ويذكي جمرة قلوبهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويأخذهم بالصبر على الأذى، والصفح الجميل، وقهر النفس فزادوا رسوخًا في الدين، وعزوفًا عن الشهوات، وتفانيًا في سبيل المرضاة، وحنينًا إلى الجنة، وحرصًا على العلم، وفقهًا في الدين، ومحاسبة للنفس، وقهرًا للنزعات، وغلبة على العواطف، وتسيطرًا على الثائرات والهائجات، وتقيّدًا بالصبر والهدوء والوقار"<sup>(٢)</sup>.

تلك كانت أخلاقهم وميزاتهم التي أهلتهم لما ينتظرهم من المحن والشدائد في

(١) الدعوة إلى الله على بصيرة د/ عبد النعيم محمد حسنين ص ٢٣٤.

(٢) الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ص ١١٢.

سبيل الدين. ومن ثم تكونت عصابة مؤمنة عصية على الانكسار. واستمر النبي (ﷺ) في دعوته محاولاً أن يضيف إليها رجالاً آخرين، واستمر المشركون في معارضته وإيذائه (ﷺ) " حتى كانت السنة الحادية عشرة من نبوته (ﷺ) وكان حادث الإسراء والمعراج ارتد من ارتد، وثبت من ثبت، وكان حادث الإسراء والمعراج هو حادث التصفية الكاملة وكان الفيصل بين طائفتين: طائفة مؤمنة ثابتة على إيمانها لا تزغها الأعاصير، تميد الجبال ولا تميد، وطائفة مشرقة قد أحكمت أمرها ورتبت شئونها، وجزمت العزم على أن تقضي على الإسلام مهما طال الزمن" (١). عند ذلك أيقن النبي (ﷺ) أن لابد من مغادرة مكة والبحث عن مكان آمن للدعوة.

#### الجانب الثاني:

البحث عن أناس آخرين يتقبلون الدعوة، ولديهم الاستعداد لحمايتها ونصرتها، وقد أخذ النبي (ﷺ) يمهد لهذا الأمر. فكان خروجه إلى الطائف. والذين رفضوا الدعوة. ولكن النبي لم ييأس وهو المؤيد بنصر الله. فأخذ منحىً آخر. وهو استقبال الحجاج والبحث لديهم عن ينصر هذا الدين. وأخذ النبي يمهد لذلك الأمر " ثلاث سنوات وهو في كفاح وجهاد متصل، وبدأ الإعداد في أحد مواسم الحج الذي كان يأتي فيه إلى مكة لزيارة البيت الحرام الأفواج من كل أنحاء جزيرة العرب فكان رسول الله (ﷺ) يتصدى لتلك الوفود ويدعوهم إلى لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكان نفر من المدينة قد جاءوا في ذلك الموسم أراد الله بهم خيراً" (٢).

واستجابوا للدعوة وكانوا ستة نفر. وأخيراً بدأت الدعوة تجدد لها أنصاراً جدد خارج مكة. وهاهي تنتقل في الأفاق. وحتى ينتشر هذا الأمر في التربة الجديدة بعث معهم النبي (ﷺ) مصعب بن عمير الذي انطلق معهم " سعيداً تلبيةً أمر الرسول (ﷺ)، وراح يدعو أهل المدينة إلى الإسلام، ويقرأ عليهم القرآن، ويبلغهم أحكام الله، ولقد كان الرجل

(١) القرآن والنبي (ﷺ) د/ عبد الحلیم محمود ص ٢٢٢، ط: دار النهضة الأولى.

(٢) يا غرب هذه عطور من سيرة الرسول (ﷺ) أ/ أحمد محمد عركز ص ١٤٥. ط ط دار الوفاء. الإسكندرية ٢٠٠٩م.

يدخل عليه وفي يده حربة يريد أن يقتله بها فما هو إلا أن يتلو عليه شيئاً من كتاب الله ويذكر له بعض أحكام الإسلام حتى يلقي حربته ويتخذ مجلسه مع من حوله مسلماً موحدًا يتعلم القرآن وأحكام الإسلام حتى انتشر الإسلام في دور المدينة كلها، ولم يكن بينهم حديث إلا عن الإسلام" (١).

وبدأت الدعوة تجد لها متنفسًا في بيئتها الجديدة. وبدأ النبي يعد المجتمع الجديد لكي يكون القاعدة لانطلاق الدعوة في العالمين.

وأتت دعوة مصعب ثمارها فقد زاد عدد المسلمين وهنا تمت بيعة العقبة الثانية والتي تعرف بـ "بيعة العقبة الكبرى، وقد تمت في جو تعلوه عواطف الحب والولاء والتناصر بين أشقات المؤمنين، والثقة والشجاعة والاستبسال في هذا السبيل، فمؤمن أهل يثرب يحنو على أخيه المستضعف في مكة ويتعصب له ويغضب من ظالمه، وتجيئ في حناياه مشاعر الود لهذا الأخ الذي أحبه بالغيب في ذات الله.

ولم تكن هذه المشاعر والعواطف نتيجة نزعة عابرة تزول على مر الأيام، بل كان مصدرها هو الإيمان بالله وبرسوله وبكتابه إيمان لا يزول أمام أي قوة من قوات الظلم والعدوان، إيمان إذا هبت ريحه جاءت بالعجائب في العقيدة والعمل" (٢).

وبذلك تمكن الرسول (ﷺ) من القيام بالإعداد في ميدان الدعوة على أكمل وجه وأتم صورة، فقد أعد المؤمنين في مكة على توطين أنفسهم على احتمال المكاره، والاستعداد للتضحية بأي شيء في مقابل العقيدة، وهياً الأنصار لاستقبال إخوانهم المهاجرين وحمايتهم والوقوف بجانبهم ونصرتهم، واستطاع المسلمون بفضل الله (ﷻ) وتلك التربية الإيمانية أن يقوموا بالأعمال الخالدة التي سجلها التاريخ في ديوانه بكل فخر واعتزاز، والتي لم يسبقهم إليها أحد، ولن يصل إليها أحد بعدهم.

(١) فقه السيرة النبوية د/ محمد سعيد رمضان البوطي ص ١٢١.

(٢) الرحيق المختوم للمباركفوري ص ١٣٨.

### المطلب الثالث

#### ضرورة الإفادة من الوسائل المتاحة

من الضروري للدعاة إلى الله (ﷺ) أن يستفيدوا من الوسائل المتاحة في نشر الدعوة الإسلامية، فالوسائل كثيرة. وخاصة في العصر الحديث. فالاختراعات كل يوم تقدم الجديد. وعلى الداعية أن يلاحق تلك الوسائل مذلا لها في العوة إلى الله تعالى. كما كان النبي ﷺ يستخدم ما أمكن من وسائل في سبيل تبليغ الدعوة. وأنه مما ينبغي على الدعاة إلى الله (ﷺ) أن يهتموا به ويجعلوه نصب أعينهم ذلك " الأثر الخطير لوسائل الإعلام في العصر الحديث، ودورها في توجيه الأفراد والجماعات والمجتمعات، فقد أصبحت سلاحًا خطيرًا تمارسه الدعوات الباطلة لتبلغ أهدافها وتحقق أغراضها" (١).

وإن المتأمل في أحداث السيرة النبوية يجد أن النبي (ﷺ) منذ بداية دعوته استفاد من الوسائل المتاحة في عهده لتوصيل رسالته للناس وجمعهم لسماعه. ذلك أن عصره ﷺ لم يكن عصر الصحافة والإذاعة وعصر آلات نشر الصوت وتضخيمه، فما هو السبيل إلى حشر سكان الوادي إلى مكان مخصوص في زمن مخصوص؟ وما هو السبيل إلى السيطرة على عقولهم ونفوسهم حتى ينفضوا أيديهم من أشغالهم وملذاتهم ويخفوا إلى مكانه فزعين مسرعين؟.

كان الرسول (ﷺ) عربيًا يعرف عادات العرب وتقاليدهم وشعاراتهم وتأثيرها في نفوسهم ومجتمعهم، واستعان بذلك في سبيل هذه الغاية التي لا غاية أفضل منها، اعتاد العرب إذا أحس أحد منهم بخطر وعدو يريد أن يفاجئ ويأخذ القوم على غرتهم، أو بعدو كامن قاعد بالمرصاد قد غفل عنه أهل البلاد أن يرتقي أحدهم قمة جبل أو ربوة ويصرخ بأعلى صوته "يا صباحاه" أو "واصاحباه" فيفزع القوم ويأخذون عدتهم

(١) المرجع السابق: نفس الصفحة.

ويخرجون على بكرة أبيهم لمواجهة الخطر الداهم والعدو المهاجم" (١). وهذا ما فعله رسول الله (ﷺ) عندما أمره ربه بأن يبلغ الرسالة. فمرة يصنع الطعام ويدعو أهله لكي يحضروا فيحدثهم. ومرة يصعد فوق جبل الصفا ويناديهم. عليهم يستجيبوا لدعوته. فما ترك فرصة قط للدعوة إلا واستغلها.

وكذلك فعل النبي (ﷺ) أثناء هجرته إلى المدينة لا يترك فرصة للدعوة إلا اغتنمها مع أنه (ﷺ) في حال قد لا تمكنه من ذلك فقد روي أنه " لما انطلق رسول الله (ﷺ) وأبو بكر مستخفين مروا بعبد يرمى غنماً فاستسقيه اللبن فقال: ما عندي شاة تحلب غير أن هاهنا عناقاً حملت أول الشتاء وقد أخذت (٢) وما بقي لها لبن فقال: " ادع بها " فدعا بها فاعتقلها النبي (ﷺ) ومسح ضرعها حتى أنزلت، ودعا أبو بكر بمجن (٣) فحلب، وسقى أبا بكر، ثم حلب فسقى الراعي، ثم حلب فشرب، فقال الراعي: من أنت فوالله ما رأيت مثلك قط؟ قال: " أو تراك تكتم علي حتى أخبرك؟ " قال: نعم: قال: " فإنني محمد رسول الله " قال: فأنت الذي تزعم قريش أنك صابئ؟ قال: " إنهم ليقولون ذلك ". قال: فأشهد أنك نبي، وأشهد أن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي " (٤).

فلننظر كيف يهيء النبي (ﷺ) الراعي لقبول الإيمان بمعجزة من جنس ما يحسن الراعي. فالشاة يعلم الراعي أنها لا يمكن أن تعطي لبناً أبداً في هذه الحالة. فلما يرى خرق تلك العادة يسارع إلى الإيمان.

(١) مقالات إسلامية في الفكرة والدعوة للعلامة السيد أبي الحسن علي الحسن الندوي إعداد/ سيد عبد الماجد الغوري: ٤١/٢، ط: دار ابن كثير - دمشق - ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) أخذت: الخداج، بالكسر: إلقاء الناقة ولدها قبل أوانه، وقد يكون الخداج لغير الناقة. [تاج العروس: ٥/٥٠٥].

(٣) المجن: الترس الذي يلبسه المحارب، سمي بذلك لأنه يجنّه ويقيه من عدوه. [لسان العرب: ١٣/٤٠٠].

(٤) سبل الهدى والرشاد للشامي ٣/٢٥٠، ٢٥١.

كذلك روى ابن سعد اليماني (رضي الله عنه) (١) قال: "حدثني أبي أن رسول الله (ﷺ) أتاهم ومعه أبو بكر - وكانت لأبي بكر عندنا بنت مسترضعة - وكان رسول الله (ﷺ) أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة فقال له سعد: هذا الغامر من ركوبة وبه لصان من أسلم يقال لهما المهانان، فإن شئت أخذنا عليهما فقال النبي (ﷺ): "خذ بنا عليهما" قال سعد: فخرجنا حتى إذا أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه: هذا اليماني فدعاهما رسول الله (ﷺ) فعرض عليهما الإسلام فأسلما ثم سألهما عن أسمائهما فقالا: نحن المهانان فقال: "بل أنتما المكرمان وأمرهما أن يقدموا عليه المدينة" (٢).

فالنبي ﷺ حتى مع اللصوص وقطاع الطرق لا يترك الفرصة تفوته في دعوتهم. كذلك ما حدث أثناء الهجرة وقبل الوصول إلى المدينة جاء في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: "لما شارف رسول الله (ﷺ) المدينة لقيه أبو عبد الله بريدة بن حصيب الأسلمي في سبعين من قومه من بني سهم فقال نبي الله (ﷺ) من أنت؟ قال: بريدة. فقال لأبي بكر "برد أمرنا وصلح" ثم قال: "ممن؟" قال: من أسلم فقال لأبي بكر: "سلمنا" ثم قال: "من بني من؟" قال: من بني سهم قال: "خرج سهمك يا أبا بكر" فقال بريدة للنبي (ﷺ) من أنت؟ قال: "أنا محمد بن عبد الله رسول الله" فقال بريدة: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فأسلم بريدة وأسلم من كان معه (٣).

ولا يخفى أن في إعلان النبي (ﷺ) عن نفسه قد يؤدي به إلى الهلاك فهو لا يزال في طريق هجرته ولما يصل بعد، ولا تزال قريش ترصده وقد يكون هناك من أغرته مكافأته بالإبلاغ عنه ولكنه - عليه الصلاة والسلام - يستفيد من كل فرصة تتاح له كي يبلغ رسالة ربه.

(١) حابس بن سعد اليماني، نزل بجمص ثم أرتحل إلى مصر. [الإصابة في تمييز الصحابة: ١ / ٥٦١].

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٣ / ١٩٥.

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للشامي ٣ / ٢٥١، ٢٥٢.



وهكذا يجب على الداعية أن تمتلك الدعوة أقطار قلبه، وتملاً عقله وحسه، فلا يشغله عنها أي شاغل، ولا يصرفه عنها أي أمر من الأمور، وأن يجيد استغلال الفرص المهيأة ويتمكن من الاستفادة من جميع الوسائل المتاحة وخاصة في هذا العصر الذي انتشرت فيه وسائل الاتصال الحديثة، ويقوم باستثمارها في نشر الدعوة وتبليغ الرسالة – لاسيما – أن دعاة الإفساد في عصرنا يجيدون استخدام تلك الوسائل في الكيد للإسلام والمسلمين، وابتكرون كل يوم جديدًا ونحن عن ذلك غافلون.

## الخاتمة

الحمد لله الذي علا الأنام في الكمال والجلال، واهب النعم - سبحانه - صاحب الفضل والإحسان والصلاة والسلام على خاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

وبعد،، فهذه أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث.

### النتائج:

١. ثبات الداعية على مبدئه وتضحيتها من أجل تحقيقه له أثر كبير في نجاح دعوته.
٢. ضرورة التخطيط المحكم وحسن توظيف الطاقات في مجال الدعوة إلى الله عز وجل.
٣. أهمية التنويع والتجديد في العمل الدعوي.
٤. ضرورة الإفادة من جميع الوسائل المتاحة في مجال الدعوة إلى الله وحسن استغلالها.

٥. العقيدة لا يقابلها شيء فهي فوق الأهل والمال والوطن بل والنفس.

٦. التوكل على الله (تعالى) لا بد أن يكون مصحوباً بالأخذ بالأسباب.

٧. الثقة في الله (تعالى) واليقين التام بأنه سبحانه سيغير حالنا هذا إن التجأنا إليه.

٨. إيجاد الحلول البديلة لكل مشكلة وعدم الاستسلام للواقع الأليم.

### التوصيات:

١. بث روح الأمل والتفاؤل وبعث الثقة واليقين في نصر الله (تعالى) للمسلمين مهما كان الجو ملبداً بالغيوم.
٢. ضرورة العمل على تحقيق الأخوة الدينية في العصر الحاضر على جميع المستويات لما لها من أثر بالغ.

## فهرس المصادر والمراجع

**\*\* أولاً: القرآن الكريم (جل من أنزله).**

**ثانياً: كتب السنة وشروحها:**

١. سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
٢. سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
٣. سنن الترمذى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط: الثانية ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
٤. السنن الكبرى للنسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٥. صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط: الأولى ١٤٢٢ هـ.
٦. صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني، من الداعية التي حقق أصلها عبد العزيز بن عبد الله بن باز ورقم كتبها وأبوابها محمد فؤاد عبد الباقي، ط: مكتبة الإيمان.
٨. المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
٩. مسند أبي يعلى الموصلي، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، ط: الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

١٠. المعجم الكبير للطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: الثانية.

#### ثالثاً: كتب التفسير:

١. تفسير التحرير والتنوير للإمام الطاهر بن عاشور، ط: الدار التونسية ١٩٨٤م.
٢. تفسير الشعراوي خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم، ط: أخبار اليوم، قطاع الثقافة.
٣. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج أد/ وهبة الزحيلي، ط: دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط: الثانية ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٤. الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، مراجعة د/ محمد إبراهيم الحفناوي، وتخرّيج د/ محمود حامد عثمان، ط: الأولى، ط: دار الحديث ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

#### رابعاً: كتب السيرة والتاريخ:

١. اتحاف النبلاء بسيرة سيد الأنبياء للأستاذ عبد العظيم بن بدوي الخلفي، ط: شركة علوم الحاسب كمبيوساينس - ط الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٢. البداية والنهاية للحافظ للإمام ابن كثير، ط دار الفكر العربي، الأولى ١٣٥١هـ-١٩٣٢م.
٣. الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام للشيخ صفى الرحمن المبار كفوري، ط: دار المنار الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٤. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام للإمام السهيلي تعليق: مجدي بن منصور بن سيد الشوري، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى.
٥. زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية. ط مؤسسة الرسالة. مكتبة المنار الإسلامية. بيروت. الطبعة الرابعة عشرة ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط.
٦. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للإمام الشامي تحقيق الشيخ أحمد عبد

الموجود والشيخ/ علي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى  
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٧. السيرة النبوية دروس وعبر، د/ مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، ط:  
التاسعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨١م.

٨. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث د/ علي الصلابي مراجعة: محمد  
عبد المعطي عبد الرحيم أحمد (محمد رحيمي القنائي)، ط: دار الأندلس الأولى  
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٩. السيرة النبوية لابن كثير تحقيق د/ مصطفى عبد الواحد، ط: دار المعرفة  
للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م.

١٠. السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإياري وعبد  
الحفيظ شلبي، ط: دار ابن كثير - بيروت، الثالثة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١١. سيرة النبي (ﷺ) لابن إسحاق تهذيب ابن هشام، تحقيق: محمد محي الدين عبد  
الحميد، ط: مطبعة المدني.

١٢. شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني، ط: دار المعرفة -  
بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٣. فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي. مراجعة الشيخ ناصر الدين الألباني. ط دار  
الدعوة. ط السادسة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٤. فقه السيرة النبوية د/ محمد سعيد رمضان البوطي. ط دار الفكر. بيروت. ودار  
الفكر المعاصر. دمشق. ط العاشرة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٥. في أنوار الهجرة وسيرتها العطرة أد/ محمد فتحي فرج، مقال ضمن مجلة  
الأزهر، السنة ٩١ عدد المحرم ١٤٢٩هـ - أكتوبر ٢٠١٧م.

١٦. قطوف من السيرة والدعوة أد/ السيد محمد الديب، ط: مركز آيات للطباعة،  
ط: الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

- 
١٧. الكامل في التاريخ لابن الأثير، ط: دار صادر. بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٨. محمد رسول الله د/ محمد الصادق عرجون. ط دار القلم. دمشق. ١٤١٥هـ.
١٩. من معين السيرة للشيخ صالح أحمد الشامي، دار المكتب الإسلامي، ط:  
الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
٢٠. المنتظم في تواريخ الملوك والأمم للإمام الجوزي تحقيق أد/ سهيل زكار، ط:  
دار الفكر - بيروت - الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- خامسًا: كتب المعاجم اللغوية:
١. أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق: أ/ محمود محمد شاكر، ط: مطبعة المدني  
١٩٩١م.
٢. تاج العروس للزبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
٥. كتاب التعريفات للجرجاني تحقيق أ/ إبراهيم الإبياري، ط: دار الريان للتراث.
٦. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) لأبي البقاء الكفوي. ط  
مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.
٣. لسان العرب لابن منظور، الناشر: دار صادر - بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ.
٤. مختار الصحاح للرازي. ط المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت -  
صيدا. ط الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م. تحقيق: يوسف الشيخ محمد.
٥. المصباح المنير للفيومي، ط: المكتبة العلمية - بيروت.
٦. معجم البلدان لياقوت الحموي، الناشر: دار صادر، بيروت، ط: الثانية ١٩٩٥م.
٧. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء  
التراث العربي بيروت.
٨. المعجم الوسيط أ/ إبراهيم مصطفى أحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد  
النجار، تحقيق مجمع اللغة العربية، ط: مكتبة الشروق الدولية، ط الرابعة ١٤٢٥هـ -  
٢٠٠٤م.

٩. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسول للإمام السيوطي، تحقيق: أد/ محمد إبراهيم عبادة، ط: مكتبة الآداب، ط: الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
١٠. مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط: دار القلم - دمشق - والدار الشامية - بيروت، ط: الرابعة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١١. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد خليل عيتاني، ط: دار المعرفة - بيروت - السادسة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
١٢. مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط: اتحاد الكتاب العرب، ط ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

سادسًا: كتب التراجم:

١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط: الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢. أسد الغابة لابن الأثير، الناشر: دار الفكر - بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٣. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط دار الكتب العلمية. بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.
٤. الأعلام للزركلي، ط دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر ٢٠٠٢م.
٥. الطبقات الكبرى لابن سعد، ط: دار صادر - بيروت ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت.

سابعًا: المراجع العامة:

١. أسعد خلق الله: محمد خاتم النبيين - عليه الصلاة والسلام - د/ عبد الغفار هلال. ط دار الكتاب الحديث ٢٠٠٨م.
٢. الإسلام في حياة المسلم د/ محمد البهي. ط مكتبة وهبة ١٩٧٧م.
٣. الإسلام وبناء الشخصية دراسة تحليلية لشخصية المسلم في ضوء الكتاب

- 
- والسنة أ.د/ أحمد عمر هاشم، ط: دار المنار.
٤. التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته د/ عبد رب النبي علي أبو السعود، تقديم، ط: دار التوفيق النموذجية، ط: الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٥. التضحية والفداء في الإسلام. جمعة أمين عبد العزيز. ط دار الدعوة القاهرة.
٦. الثبات. د. محمد موسى الشريف. ط دار الأندلس. القاهرة. ط الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٧. الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها أستاذنا الدكتور/ أحمد أحمد غلوش، ط: دار الكتب الإسلامية ودار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني - بيروت.
٨. الدعوة الإسلامية تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن للشيخ/ محمد أبو زهرة، ط: دار الفكر العربي، ط: الأولى ١٩٧٣م.
٩. الدعوة الإسلامية دعوة عالمية للشيخ محمد الراوي، ط: مكتبة العبيكان - الرياض، ط الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٠. الدعوة إلى الله على بصيرة د/ عبد النعيم محمد حسنين. ط دار الكتاب المصري.
١١. رجال من التاريخ للأستاذ/ علي الطنطاوي، ط: مؤسسة الرسالة، ط السادسة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٢. الصحبة والصحابة. د. أحمد على الإمام. سلسلة دعوة الحق الصادرة عن رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة. عدد ٢١٤. ٢٧. ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٣. عبقرية الصديق أ/ عباس محمود العقاد، ط: دار المعارف - ط الثالثة عشر.
١٤. العمل في الإسلام كتاب يبحث في العمل والعاملين في الشريعة الإسلامية والنظم الوضعية د/ عبده عيسى، د/ أحمد إسماعيل يحيى، ط: دار المعارف.
١٥. في ذكرى الهجرة النبوية الشيخ محمد عبد المجيد زيدان، مقال ضمن مجلة منبر الإسلام. لسنة ١٩٧٤م العدد ١.



١٦. في رحاب الإسلام الشيخ محمد سيد أحمد الأقرع، دار البشير  
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
١٧. القرآن والنبى (ﷺ) أ.د/ عبد الحليم محمود، ط: دار النصر. ط الأولى..
١٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. لابن القيم الجوزية.  
تحقيق: محمد حامد الفقي. ط: دار الكتاب العربي، بيروت. ط الثانية ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
١٩. المدخل إلى علم الدعوة د/ محمد أبو الفتوح البيانوني، ط: مؤسسة الرسالة.
٢٠. مع الله دراسات في الدعوة والدعاة للشيخ/ محمد الغزالي، ط: دار التوفيق  
النموذجية، ط السادسة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٢١. مقالات إسلامية في الفكرة والدعوة للعلامة السيد أبي الحسن علي الحسن  
الندوي إعداد/ سيد عبد الماجد الغوري، ط دار ابن كثير. دمشق. ط الأولى ١٤٢٤هـ  
٢٠٠٤م.
٢٢. من أدب الدعوة للشيخ/ محمد داود. دار المنار ١٩٩٨م.
٢٣. من وحي المنبر للشيخ أحمد نصيب المحاميد. ط دار الفكر المعاصر بيروت.  
ط الثانية ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٢٤. منهج البحث العلمي. سعيد التل وآخرون. ط مؤسسة الوراق- عمان الأردن  
- ط: الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.
٢٥. منهج المسلم كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات الشيخ/ أبو  
بكر الجزائري، ط: دار السلام.
٢٦. منهج الدعوة في القصة القرآنية لأبي عبادة محمد صالح البطايحة، ط: دار  
الكتاب الثقافي الأردني.
٢٧. المهاجرون إلى الله: د/ أحمد عبده عوض. ط مركز الكتاب لنشر سلسلة لقاء  
الإيمان ٢٠١٢م.
٢٨. الموسوعة الشرباصية في الخطب المنبرية، أ.د/ أحمد الشرباصي، ط: الدار

- 
- التونسية ١٩٨٤ م.
٢٩. نساء في حياة خاتم الأنبياء د/ ياسين غضبان، ط: دار الوفاء، ط: الأولى  
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٣٠. الهجرة سنة الحياة د/ حسين عبد المنعم برعي، ط مكتبة الإسراء. ط  
الأولى ٢٠٠٧ م.
٣١. هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة للشيخ/ علي محفوظ، تحقيق: أ/  
مجدي فتحي السيد، ط: المكتبة التوفيقية.
٣٢. يا غرب هذه عطور من سيرة الرسول (ﷺ) أ/ أحمد محمد عركز. ط دار الوفاء.  
الإسكندرية ٢٠٠٩ م.
٣٣. أبحاث البحث العلمي في العلوم الشرعية. فريد الأنصاري. ط دار الفرقان،  
الدار البيضاء بالمغرب. ط الأولى ١٩٩٧ م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## فهرس الموضوعات

المقدمة	١٠١٧
التمهيد	١٠٢١
المبحث الأول: الدلالات الدعوية المتعلقة بالداعي	١٠٢٧
المطلب الأول: الثبات على المبدأ والتضحية من أجله في حياة الداعية	١٠٢٧
المطلب الثاني: إتقان التخطيط وحسن توظيف الطاقات في حياة الداعية	١٠٣٢
المطلب الثالث: التوكل على الله في حياة الداعية	١٠٣٧
المبحث الثاني: الدلالات الدعوية المتعلقة بالمدعو	١٠٤٢
المطلب الأول: حسن الصحبة	١٠٤٣
المطلب الثاني: التضحية والفداء من جانب المهاجرين	١٠٤٩
المطلب الثالث: الإيثار من جانب الأنصار	١٠٥٥
المطلب الرابع: التضحية من جانب المرأة في سبيل الدعوة	١٠٦٠
الثالث فعنوانه: الدلالات الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة	١٠٦٤
المطلب الأول: الصبر واليقين طريق النصر والتمكين	١٠٦٤
المطلب الثاني: الإسلام دين العمل والنشاط	١٠٦٨
المطلب الثالث: الوفاء في الإسلام	١٠٧٤
المبحث الرابع فعنوانه: الدلالات الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب الدعوية	١٠٨٠
المطلب الأول: ضرورة التنويع والتجديد في العمل الدعوي	١٠٨١
المطلب الثاني: الإعداد الجيد في ميدان الدعوة	١٠٨٧
المطلب الثالث: ضرورة الإفادة من الوسائل المتاحة في ميدان الدعوة	١٠٩٠
الخاتمة	١٠٩٤
المصادر والمراجع	١٠٩٥

\*\*\*